إن نفسي ليس ترضى: أي نفس
تقبل الحيش كسكان القبور؟

سيِّد قطب

1966 - 1906

الأعمال الكاملة

الشعرية

الكاملة

تقديم
د. حسن
حنفي

سيد قطب

1966 - 1906

الأعمال

الشعرية

الكاملة

تقديم
د. حسن
حنفي

2008 الدراية لا الرواية

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى 1954 وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن) آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافى- الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر.

د. حسن حنفي

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾

سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي

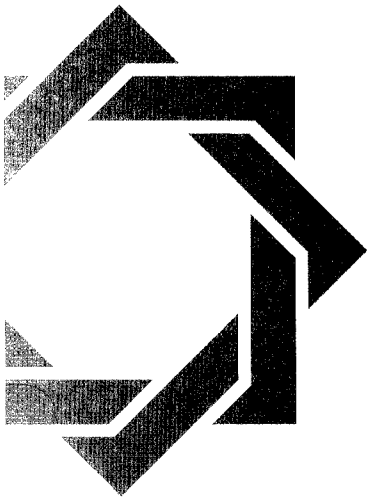

مركز الناقد الثقافي
مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق – ساحة عرنوس – بناء واحة عرنوس –بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع –

مكتب رقم ١ – ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

- رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)
Correspondent bank : **COMMERZBANK / FRANKFUR**
SWIFT:COBADEFF
BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
Beneficiary bank : (MARKAZ AL NAKED/BBSF)
SWIFT : BBSFSYDA **(0125719/BBSF)**
Name of the final beneficiary :
Account number of the final beneficiary :

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)
Correspondent bank : **BANQUE SAUDI FRANSI**
SWIFT : BSFRSARI
BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
Beneficiary bank : (MARKAZ AL NAKED/BSF):
SWIFT;BBSFSYDA **(0125719/BSF)**
Name of the final beneficiary

تحذير وإنذار

- من يقوم بتزوير هذا الكتاب ويشترك بطبعه أو تغليفه أو بيع النسخ المزورة يلاحق بأقصى العقوبة المنصوص عليها في القوانين ويتحمل كل ضرر ناجم عن ذلك .
- قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي رقم (5)د 1988/9/8 م بشأن الحقوق المعنوية أسقط الفتاوى التي يتذرع بها لصوص الكتاب لتغطية كسبهم الحرام فقد جاء في مادته الثالثة :

((حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعاً، ولأصحابها حق التصرف فيها ، ولا يجوز الاعتداء عليها))

- صدر في سوريا قانون حماية حقوق المؤلف رقم ١٢ بتاريخ ٢٠٠١/٢/٢٧ ويقضي القانون بحماية حقوق المبدعين والمفكرين في شتى ميادين الأدب والعلم والفنون منمختلف أشكال العبث سواء بالانتحال أو التشويه أو الطمس أو بأي مسّ من شأنه أن يسيء إلى المؤلف .

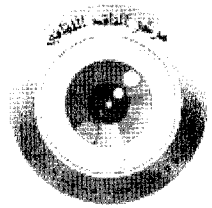

جميع الحقوق محفوظة
لمركز الناقد

الناقد الثقافي
الدراية لا الرواية
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسح في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م

الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥ـ١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبى فى الأربعينيات (١٩٤٥ـ١٩٥٠) في (النقد الأدبى، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفنى فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠ـ١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤ـ١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضى الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (١) الإسراء ٨١/١٧.

١ـ حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢ـ١٩٨١/٥ الحركات الإسلامية المعاصرة ،القاهرة، مدبولي ١٩٨٨،ص١٦٧ـ٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٤٩[1] وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤

۞ كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

۞ هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

۞ وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبئية نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وئيا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ – له فى عام ١٩٣٤ – ٤١ – قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

۞ وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وتهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر[1].

1- ما أرى هذه المرحلة إلا نتيجة طبيعية للسقوط في وهدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتونِ الحقد. من طرفي الأمة وجناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرتهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتر عذاباتها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)

المقدمة
بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأىّ سواى أن يعرفَها ! ولقد صاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وراقبتُ خوالجَه[1] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاته وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَوالج والقصائد، ولكنا كُنَّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راض عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثل عُلْيَا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعَ الضعف والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بسَمْتها[2] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صور الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنته[3].

١- خوالجه: خواطره ونزعاته.
٢- السَّمْتُ: الطريقة
٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً[1] حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغُ حداً مُناسباً من النُّضُوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثّلَهما غذاءً، يُقَوّى من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامَه بالحَقائق العلمية والفلسفية فيما يُلِمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسبَ طبيعَته؛ إلا إذاَ قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور مادية، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[2] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولم تأتَ عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرق بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى المُلْهَمَة -وليست هي الغرائز- القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دون شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

٢- السيكولوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير))... إلخ.

وفي قصيدة الشاطىء المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[1] واستغرق، وتجرد؛ وصوفية.

لقد حَجَبَ العقلُ الذي نستشيرُه حقائق جلّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[2] فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية — عند الشاعر — هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطىء المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

---

١ - البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ - الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفسه ما يشبهُ الموتَ سكرةً ومن حوله موتٌ نَمتْهُ المقابر

وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرَّةٍ فهاتيك أشلاءٌ وهذى خواطر[1]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[2] إذ يقول:

خبيئة نفسي في ثناياك معرضُ لما لقيتْهُ الأرضُ في الجَولَان

وإنك طلسَمُ الحياةِ جميعها وصورتُها الصغرى بكلِّ مكان[3].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سترْه فيختمُ سفرَ الناسِ في الكون ظافرٌ[4]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المَخْبُوء
٣- الطلسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كسكّانِ القبور في ربيعِ العمر؛ في العهد النَّضِرْ

آهِ لو أَستطيعُ للماضي الحسيرِ رجعةً، من بعد ما جاء وَمرْ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْيا الشَّبابُ نابضاً بالحبّ؛ جياشَ الأماني

ممسكاً أهدابَه خوفَ الذّهاب! مُسْتعزاً فيه حتّى بالّثواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ فَهْو أَضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،احلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليومَ آسفُ للدَّقائقِ تنطوي من عمريَ الغالي الثّمينِ الطَّيبِ

واليوَم أرقُبها وأرقبُ خَطْوَها فأعيشها مثلين بعد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم
٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغنـــاءٌ عـــن الخلـــودِ غرامٌ هـــو رمـــزٌ ووَصْلـــةٌ للبقـــاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثارَةٌ تنســـابُ في خَلَـــد وفي أَوْهامـــي[1]

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعـــة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيـــتُ ما أعيـــا المقاديرَ إنّمـــا وجدتُـــكَ رمزاً للأمـــاني الصّوادفِ

فأنـــت عزائـــي في حياةٍ قصـــيرةٍ وأنت امتـــدادي في الحيـــاةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشـــغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شـــوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشـــغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلُح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيِّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُـــكَ في الطُّفولـــةِ غافلاً عمَّا حويْتَ من الوجود السّـــامي

لكن وجدْتُـــكَ إذْ كبِرْتُ بخاطري رمـــزاً أُحيـــطَ بغمْـــرةِ الإبهـــام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْـــتُ في هذا الخَرابِ وأنـــا أسْـــألُ: مـــا شَـــأني هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطلِعَتْ)) دون إرادتها؛ ولم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

ومثل هذه الدّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأً في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

والذي يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلُّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَبَاحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (ا لغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[1]

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين همامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.

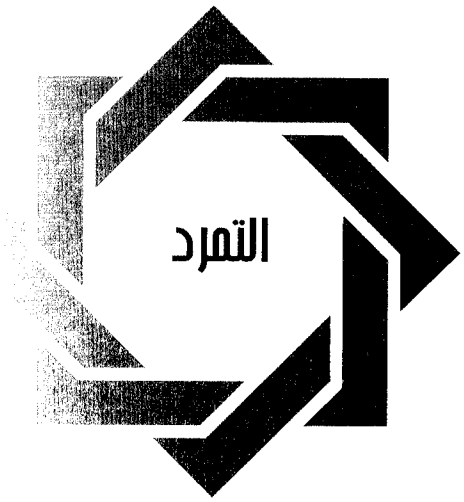

إن نفسي ليس ترضى : أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسُكّانِ القبورْ؟

عزلة في ثورة!!!*

حَدثيـــني أنْـــتِ يـــا نَفْســـي فما أفهـــمُ العَالَـــم أو يَفْهَمُنـــي
إنـــني أنكرَتُـــه اليـــومَ كمـــا أنـــه بالأمـــسِ قَـــدْ أنْكَرَنـــي
لم أجـــدْ في الكـــون إلا أَلَمـــا إنمـــا الوَحْـــدَةُ أصلُ الشَّـــجَنِ

* * *

وَحْـــدَةُ الأرواحِ أنْكَـــى الوَحَدَاتِ وَحدةُ الأجسام تُنْسَـــى وتَهُوْنْ[1]
أيُّ بُؤْســـي تســـتحثُّ الذكرياتِ كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات)) وانزوت في عالمٍ جَمّ السُّـــكُونْ[2]

* * *

لم أجـــدْ قلبـــاً إذا ارتعـــتُ خَفَق خفقة الحُـــبّ بوحْيٍ صـــادقِ[3]
وإذا شـــذَّ فـــؤادٌ فَصَـــدَق أتبـــعَ الحُـــبَّ بِغَـــدْرٍ مَاحِـــقِ[4]
وفـــؤادي يَتنُـــزى[5] في حَـــرَقٍ وَاجِفـــاً مِنْ كلِّ حَـــدسٍ طارِقِ[5]

* * *

وحبيبٍ قَـــدْ سَـــمَتْ رُوحي إليه وعبـــدتُ الطُّهْـــرَ فيـــه والجَمَالْ
ووقفـــتُ النفـــسَ والفكـــرَ عليه والأمـــانيَّ وأطيـــافَ الخَيـــالْ
ورأى مِـــني أســـيراً في يَدَيـــه فتولَّـــى لاهِيـــاً عـــني ومَـــالْ

* * *

لم أجـدْ في الكـونِ ما أنْشُـدُه مَثَـلاً أعْلـى فـأرْوِي ظَمَئـي
وإذا صـوّرتُ مـا أقصـدُه بُهِـتَ النـاسُ لهـذا النَّبَـأ
وتولّـى بعضُهـم يَنْقُـدُه جاهـداً والبعضُ يَـروِى خَطَئِي

* **

وتقاليـدٌ وأسْـرَى يَعْبـدُون هـذه الأصنـامَ مُغْلُـولي الفِكَرْ
وإذا ثـرْتُ عليهـا يَسْـخَطُون ويقولـون تَمـادَى وكَفَـرْ!
وَيْحَهـم مـاذا تَراهـم يبْتَغُونَ؟ أتُرى نحيا شُـخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكـرتُ الحُبَّ قُدْسِـياً نَقِيا حسَـبُوه من خَيـالِ الشُّـعَراءْ
إنـني أُدْرِكُـهُ رُوحـاً خَفِيـا يَهْبِـطُ الأرضَ ومَأواه السَّـمَاءْ
وهـم يَبْغُونَـه إثْمـاً فَريـا يُرْتَـدَى في أثْـوابِ البغـاءْ!

* * *

أُتُـرى أحيـا بُـروحٍ لا تَحس وفؤادٍ ليـس يَدْرِى مَا الشُّـعورْ؟
أكتمُ الأنفـاسَ إن جَالتْ بحسّ ثُمَّ أبْقَـى صخرةً بـين الصُّخُورْ؟
إنَّ نفسي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ تقبـلُ العيـشَ كسُـكَّانِ القُبُورْ؟
حدثيـني أنـتِ يـا نفـسُ إذَن واتركـي العَالَمَ في الكَـوْنِ يَمُوجْ

واعشَـقي كلَّ جمـالٍ يُفْتَتَـنُ واضـحِ الطَّلعـةِ بَسَّـامٍ بَهِيـجْ
وخُـذِي مَا شِـئتِه مـن كلِّ فَنٍّ ودَعِي مَنْ هَـاجَ في الأرض يَهِيجْ!

* * *

حَلِّقـي يـا نفـسُ في كلِّ فَضَاءْ واهبطي بـينَ الأقاحـي والزُّهُورْ
واسمَعي ما شـئتِ مِنْ عَذْبِ الغِنَاءْ حينمـا تَهْتِـفُ باللَّحْـنِ الطُّيورْ
إنمـا الكـونُ ومَـنْ فيـه هَبَاءْ بعدمَا يَرْضَى عـن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثـي يـا نفـسُ إني لَسـميعْ إنْ لَهـا النـاسُ ولم يَسْـتَمعُوا[1]
وَصِفي إحساسَـكِ السَّامي البديعْ ودَعِيهم حيـثُ هُمْ قَـدْ وَدَّعوُا
وإذا الألفـاظُ أعيـتْ، فالدموعْ فـإذا جَفَّـتْ، فخفْـقٌ يُسْـمَعُ

* * *

أقفـرَ العَـالمُ مـن كلِّ سَـميرْ يُبْعِدُ الوَحْشَـةَ عَنِّى غيرَ نَفْسـي
فليَفِضْ ما جَاشَ فيها من شـعورٍ ولتكـنْ إلْفِي ومَنْ أرجُو لأُنْسـي
وَحْـدَةٌ فيهـا هُدوءٌ وسـرورْ ومناجـاةٌ، فيا نَفْسِـي لتَأسّـي

* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب حائر!*

أحيـــاةٌ أمْ نـــارُ الجحيـــم بِلظَاهَـــا الهائـــجِ المُسْـــتَعِرْ؟[1]
لا. ففي نفسي من الشَّجْو الأليم من حَيـــاتي فَـــوقَ مَـــا في سَـــقَرْ!

* * *

آه. لا شَـــكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ لا أريـــدُ الضعـــفَ. كلا. لا أريـــدْ
ســـوفَ لا يظهرُ مـــني مَاكَمُنْ فليشـــدَّ الخَطْـــبُ إنّي لَشـــديدْ[2]

* * *

ولمن أشـــكوُ إذا شتتُ الشّكَاه؟ ولمن أســـطيعُ إيضـــاحَ شُـــعوري؟
أيـــنَ مَن ينظـــرُ منّي مَـــا أراه في شـــعوري، غيرَ نَفسي وضَميري؟!

* * *

أُغْـــرُبي عَـــني بعيداً يـــا حَيَاتي قـــد كَرِهـــتُ العيشَ في جَـــوٍّ قَذِرْ!
أُغْربُـــي محفوفـــةً باللعنـــاتِ آبعُدي عن سَـــاخَطٍ جهمٍ ضَجِرْ![3]

* * *

لا فِـــراراً من جهـــادٍ كالجَبَانِ لا. فمـــا كنـــتُ جَبَانَـــا أَحْـــذَرْ!
إنمـــا أَنْـــتِ ســـبيلٌ للهـــوان لســـتُ أَرْضَـــاه ونَفْســـيَ تَشْـــعُرْ

* * *

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م
١- المستعر: المتوقد، المشتعل
٢- كَمُنَ: اختفى
٣- الجهم : عابس الوجه ، ضجر ضاق وتبرم

أأناســـيًا أرى أم حَشَـــراتْ شَـــوَّهَتْ من طَلْعَةِ الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ بينمـــا أَنْفُسُـــهم رِجْسٌ يَســـيلْ!

* * *

حَقَروا الكـــونَ وأغراضَ الحياةْ حَســـبُوها دَنَســـاً في دَنَـــسْ
وصَغَـــاراً ليـــس يَرْضَـــاه إلـــهْ وَهَـــبَ الأرواحَ نُـــورَ القَبَـــسْ![1]

* * *

إنّهم لَـــم يَعرِفُـــوا معنى الجمال إنّهـــم قـــد جَهِلُـــوا سِـــرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهـــم طيـــفُ الكمال لانحـــاً يهفُـــو، تولّـــوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُـــوا العيشَ طَعاماً وشـــرَاباً ورَواحـــاً حيـــثُ شَـــاؤوا وغُدُوَّا
أنفسٌ كالكهـــفِ ما زالت خَرَاباً من شـــعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّـــموّا

* * *

فـــإذا حدثتَ عـــن طُهْـــرٍ بديعْ وشـــعورٍ يَغْمُـــرُ النفسَ بَـــراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَـــافِلِ الشـــأنِ وَضِيعْ وهو أسمى ما اســـتطَاعتْه السَّماءْ!

* * *

١- القبس: النار أو الشعلة
٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَــرُوا العِفَّــةَ والحِــسَّ البَراءْ حَقَــرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُــومْ
حَقرُوا الإخلاصَ محْضــاً والوفَاءْ ورَأَوْا في النفــس مَحْيَاهــا الذَّمِيمْ

* * *

أئــذا مــا أخلــصَ الــودَّ فُؤادٌ لفــؤادٍ مُخْلِــصٍ، فَائتلَفَــا
لم يكــنْ ذلــك إلا لِفَســاد يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذِي الشَّــرَفَا؟[٣]

* * *

لا. فمــا أقْفَــرَ هاتيــك النفوسْ لا. فمــا أجْمــدَ ذياك الشُّــعُورْ
إنَّ وَجْــه الكــونِ مُغْبَــرٌّ عَبُوسْ بِهمُــو. فَلْيَغْرُبُــوا عنــه يُنِــيرْ!

* * *

[١]- يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهــبُ وخلِّفــني هنــا متألمــاً لا تلقــني سمحــاً ولا مُتجهِّمــا
اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتِي ويَبُــضُّ قلبي مــن قرارتِــه دَما[١]
اذهبْ فلن أشكُو إليك عَواطِفي يومــاً ولــن ألقــاكَ إلا أبْكَمَــا
أرخصتَ حُبِّــي إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه فَلْيَبْــقَ مَكْبُوحــاً إذَنْ فَتكتَّمَــا
إن كانَ بَــثُّ الحبِّ عندك مَأثَما فكذاك عِنْدي سَــوف يغدوُ مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسي لِبُعدِكَ حَسْرةٌ والعيــشُ بَعْدَك صَــار صُلْباً عَلْقَما
سَــأنامُ مهموماً وأصْحُو حَائراً وأهيــمُ في وَادِي الأسَــى مُتألِّمَــا
ويُخيم البــؤسُ المُمِضُّ فلا أرى إلا شَــقَاءً في الحيــاة مُخَيِّمَــا[٢]
لكن سَــأكتمُ ما تُكِــنُّ جَوانحي وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلِمَا[٣]

* * *

واويلتَــاه لقد أهنْــتُ عَواطِفي وحسَــبتُها عبثــاً يُمَــجُّ مُذَمَّمَا[٤]
وأراكَ تَــأبى أن أكــونَ مُتابِعاً لــك في الغُدوِّ وفي الــرَّواحِ مُيمِّمَا

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م
١- يبضّ: يرشح، يتزّ.
٢- الممض: المؤلم من أمضَّهُ الألم
٣- الجوى: حُرقة الشوق
٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لك مَا تَشَـاء، فما أطيـقُ تَبَذُّلاً مني ولسـتُ أطيـقُ منـك تَبَرُّمَا
لك ما تَشَـاءُ، فلن أرى متنائياً عني فأرجُـو عَطْفَـه مُسْـتَرْحِمَا
وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتكي أَلَمـي وأبْـدُو صَابِـراً مُتَبَسِّـمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدين وكانَ لي أمـلٌ حَطَمْـتُ قِوامَـه فَتَحطَّمَا
أملي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيش شَ الحـُّب فينَـا طَاهِـراً ومُكَرَّمَا
أمَّـا وقَـد أَرْخَصْتَـهُ وأهنْتَـهُ ورَأيتـهُ إثْمـاً لديـكَ مُحَرَّمَـا
فليذهَـبِ الأمَـلُ الـذي أمَّلْتُه حينـا وعِشْـتُ بظلِّـه مُتَنَعِّمَـا
سَـأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً حتى أمـوتَ بِـه شـهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْـتَ بالقيـد فانْطَلِـقْ أيُّهـا الآبـقُ الشَّـرودْ[1]
قـد تحـررتَ فاسـتَبِقْ للصِّرَاعـات مِـنْ جَدِيـدْ

* * *

انْطَلِـقْ تَصْعَـدُ الرُّبَـاه ثم تَهْـوى إلى السُّـفُوحْ
شَـارداً تَقْطَـعُ الحيَـاه في التَّعِـلاَّتِ والطُّمُـوحْ[2]

* * *

انْطَلِـقْ تَفجَـأُ الخَطَـرْ كالـذي يَفْجَـأُ الرَّجَـاءْ
لُعْبَـةٌ في يَـدِ القَـدَرْ تَـزْرَعُ الأرضَ والسَّـمَاءْ

* * *

جَمْـرةٌ أَنْـتَ تَتَّقِـدْ خَلْـفَ سِـتْرٍ مِـنَ الرَّمَـادْ
وهـي تَذْكُـو بِـلا مَـدَدْ ثم تَغْـدُو إلى نَفَـادْ

* * *

أَنْـتَ مِـنْ طَيْـفِ القَلَـقْ صَاغَـكَ اللهُ والجُمُـوحْ
تَعْشَـقُ الأيْـنَ والحَـرَقْ والعَقَابِيـلَ والجُـرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢
١- الآبق: الهارب، الشرود: المطارد
٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَعلل أو ما يُتلهى به.
٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْتَ تَرنُو إلى المُحَالْ عَاشِقاً بُعْدَه السَّحِيقْ
فإذا شَارفَ المَنَالْ خلْتَه مِنْ لُقَي الطَّرِيقْ[٢]

* * *

ضِقْتَ بالقيدِ مِنْ ذَهَبْ ضِقْتَ بالأمْنِ والقَرَارْ
فَانْطَلِقْ ثم لا تَثِبْ عِشْتَ للخوفِ والعِثَارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرح وترك لهوانه على الطريق
٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بِي مُستطلعاً حُلْمِي القَدِيمْ
فَتَطَلَّعْتُ إليه في وُجُومْ
قلتُ: مَنْ أنْتَ؛ فأغْضَى خَجلاَ
قال لي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![١]
قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهدِيَ ذاكْ؟
منذُ كمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ
قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى
قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرَّتْ خُطَاكْ
شَدَّ يا حُلْمِيَ ما قَدْ حَالَ حِسِّي؟
شَدَّ يا حُلْمِيَ ما أنْكَرتُ نَفْسي!
أتُرى ذاك الذي نَعْرِفُه؟
قال: ما تُبْصِرُ عَينِي غيرَ رَمْسَ[٢]!

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥
١- الوسيم : الحسن الجميل
٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

ومَضَى عَنِّي في يأسٍ عَقِيمْ

سَادرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهِيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضِي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَمِيمْ![2]

* * *

1- يهيم: لا يدري أين يتوجه

2- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بِالنُّواحْ

والأفقُ مخضوبُ الأديم، وقد تَأَذَّنَ بالرَّواحْ[1]

أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمِينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبَّاحْ؟

وَجهُ الخريف، يُطلُّ فاستمعِي لإعوالِ الرِّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ، فويحَ أيامِ الشبابْ!

لا نستقِي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنَا غِضَابْ[2]

لم تَصْفُ كَأْسُ حياتِنا يوماً ولا لذَّ الشرابْ

والآنَ تَنطلقينَ في لَهَفٍ إليَّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالهتَانِ لاَهفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[3]

وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلَّعَ في قُنوتٍ[4] للسَّماءْ[4]

* نشرت عام ١٩٤٧م

١- الأديم: بياض النهار.

٢-الرنق: كدر (الماء المتعكر)

٣- والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان

٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامي الظّماءْ؟!

صَمْتُ الخريف يَلُفُّني وعليه شَاراتُ المَساءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنّي

ما عَادَ يُوقِظُني نِداؤك خِلْسَة مِن بعد وَهْنِ

ماتتْ مُنَايَ جَميعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنّي؟

فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُك ذَاك مِنّي!

* * *

هّذِي خُطَاي على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]

الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ

شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تشعْر بِهذا أو بذاكْ

تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاكِ: متتابعة

الشكوى

لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ

سعادة الشعراء*

دَعْني ولا تَنْفُسْ عَليَّ مَواهِبي خُذْهَا وخُذْ ألمي بها وَمَتاعِبي[1]
دعْني فلستُ كما حَسِبْتَ مُنعَّماً بمواهب مَلَكَتْ عَليَّ مَذَاهِبي
أنتَ الخَلِيُّ فخلِّني وعَواطِفي آلمَت وُجْدَاني فَلَسْتَ بِصَاحِبِي
دَعْني أعيشُ كما يَشاء ليَ الأسَى لا كنتَ مِثْلي. لادَهَتَكَ نَوائبي
إني شَقِيٌّ لو علمتَ دَخَائلي فَدَعِ المَظَاهِرَ لا تَرُعْكَ جَوانِبي[2]

* * *

الشِّعرُ من نِعَمِ الحياةِ عَرَفْتُه وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبةَ لازِبِ[3]
الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ ألماً ووَجْداً في حنينٍ ذَاهِبِ[4]
مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلبي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضِي منها مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالِبِ
والشاعِرُون تَؤزُّهم أدْرَانُها يَبْغُونَها لم تمتزجْ بِشَوائبِ[1]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازب: ثابت، لاصق.

٤- الحُشاشة: بقية الروح في الجسد

حِسٌّ أرقُّ مِن الأثيرِ يُهيجُه ما قَدْ تمرُّ عليه مَرَّ اللاعبِ[3]

وهي الحياةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُعورُه ألم وأن يُكَثِّفْ فَلذةَ رَاغبِ[3]

* * *

مَنْ لِي إذَا جَنَّ الظلامُ بَهْدأةٍ كالهادئينَ وَمَنْ يُطَمْئِنُ جَانبِي

أنا في الطبيعةِ مُغرمٌ بِمشاهدٍ تُلهِي فؤادِي عن أعَزِّ رَغَائبِي

الليلُ يُشْجِيني بِرائعِ صَحْوِهِ وكواكبٌ يَغْرُبْن إثرَ كَواكبِ[4]

والبدرُ يُوحِي لِي بسرِّ طوافِه مُسْتَوْحِشاً لم يأتنِسْ بِمُصَاحِبِ

والحُسْنُ يَدْعُوني إليه فأنثَنِي ويَصُدُّني عنه بِصَفْقَةِ خَائبِ

* * *

البائِسُون إذا سَمِعْتُ أنينَهم أحسستُ أن مصابَهم هوَ صَائبِي

والبَاسِمُون إذَا شهدتُ ثَغورَهم هَاجتْ حَنِيني للصَّفاءِ الذَّاهبِ

والبعدُ يُؤذِيني ورُبَّ مفارقٍ لَمْ يُؤْذِه يَوماً تَنائي غَائبِ

وكَرَامةٍ لو مُسَّ منها جانبٌ أصْغَرْتُ عيشِي عندَها ومَطالِبِي

بَلغَ الحِفاظُ بِها القداسةَ والتُّقَى وحَذَارِ وَهمٍ خَاطِئٍ أو صَائبِ

* * *

يَاليتَ لِي نَفساً إذا ما سُمْتُها عَكَرَ الورودِ استرشدتْ بتجَارِبِي[5]

لكنَّها نفسٌ سَمَتْ فَتَألَّمتْ والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشارِبِ

دَعْنِي أعيشُ مُعذَّباً متألماً بمواهِبِي يا شِقْوتِي بِمواهِبِي

* * *

١- تؤزهم: تزلزلهم.، أدراها: أوساخها

٢- الأثير: المراد النسيم

٣-يُكثِّف: من كثف يكثف: يغلظ

٤- الصحو: الهدوء والصفاء.

٥- سمتها: أذقتها

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ أنّهـا ألعـابُ دَهْـرٍ سَـاخرِ
مَاهـرٍ يَهْـزَأُ بالمُسْـتَهزئينَ يبعـثُ النُّكْتَـة عفوَ الخاطـرِ![1]

* * *

وسَـواءٌ أضحكـتْ سُـمَّارَه أم دَهَتْهـمُ بالرزَايـا والمِحـن
فهـو يُلقِـي أبـداً أدوارَه وهـو لا يُسـألُ عن مـاذَا ومَن؟

* * *

يسـمعُ الأنَّاتِ تشـتقُّ القلوبَ صارخاتٍ كشـجيَّاتِ النُّـواحِ[2]
ليكادُ الصَّخْرُ مِـنْ هَوْلٍ يَذُوبُ وهـو يَلْقاهـا بِهُـزءٍ ومِـزَاح!

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ فلقـد أعيانـي البحـثُ الكثيرْ!
مخلِـص الطَّبْـعِ له قلـبٌ رَقيقْ خالصُ الإحسـاسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداَ
لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى
غـيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[1] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ ويَـرى الغـدرَ بِإعجـابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[2]
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
ساميات كأناشيدِ السَّماءْ
سـكرةٌ عَجْلى ومـنْ ثَـمَّ أفيقْ فـإذا بي ألْمَـسُ الغـدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْـلاصُ خَـلاَّبٌ بريـقْ مِنْ سَـرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِير[3]

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.

١- صفيق: قبيح.

٢- همت: تعلقت.

٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهــذا الكــونُ إنْ كنــتَ تُجيبُ!

أيُّ عيــش في حِمي الغــدرِ يَطيبُ؟

ثم مــاذا تَبتغــي تلــكَ القلــوبْ

غيرَ إحســاسٍ من العطــفِ رقيقْ يَغْمُــرُ الأرياحَ فَيّــاحَ العَبِيرْ[1]

فــإذَا العيــشُ رَجَــاءٌ ووُثــوقْ وإذا الكــونُ رِضــاءٌ وَحُبــورْ

* * *

إنَّ هــذا العطــف رَمْــزٌ للخُلودِ

وغِذَاءُ الــرُّوحِ في هــذا الوجُودِ

كلُّ ما فِــي الكونِ لــولاه زهيدْ

ورَحِيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ والنعيمُ العَزَبُ مَسْــلُوبُ النعيمْ[2]

وأرى الإنســانَ بالعطــفِ خليقْ في جحيمِ العيــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر

٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُــوا لي بــينَ أطيــافِ الرجــاءِ

عن صديقي ذلــك الطُّهْــرِ البَراءِ

لــن أملَّ البحــثَ لو طَــالَ العَناءْ

ليس هذا اليــأسُ باليــأسِ الحقيقْ فهو لن يُخْبي في نفسِــي السَّعيرْ

حِــيرةٌ تائهــةٌ مــا إنْ تُفيــقْ وهي الوحدةُ أو عَيــشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يــا طيفَ الأمَلْ

هَاهُنــا قلبٌ مــن الوحــدةِ مَلْ

ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]

وهو لا ينــوي عِتابــاً لصديقْ حينمــا يُخطــيءُ أخْطَــاءَ الغَريرْ[2]

فبحســبي قلبُه الســمحُ الرقيقْ في فَيــافي العيــشِ إلْفــاً لِــي سميْر

* * *

١- خَضَلٌ: غضٌّ طري

٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أقْفَرتْ شَـيئاً فَشـيئاً كالليباب غـيرَ آثارٍ مـن النَبْتِ الهَشـيمْ[1]
باقيـاتٍ ريثمَا يَسْـفَى التراب فـإذا الكـونُ خَلاءٌ في وُجُـومْ[2]

* * *

كان ينمُـو هاهُنا النّـورُ صغيرْ فـوقَ نبـتٍ لَيِّـنِ العـودِ هَزيلْ
فَـذّوي النّوْر، ومـا كانَ نَضيرْ إنمـا المُعْـدَمُ يَرضَـى بالقليـلْ!

* * *

زهرةٌ في إثـر أُخـرى تُحتَضَره وهْـو يرنُـو ذاهـلاً للزّهْـرَاتْ
مُلْقيـاتٍ حولَـه بـينَ الحُفَـرْ والرّيـاحُ الهُوجُ تَـدوي مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكـونُ حواليـهِ خَـرابْ مُوحِشُ الأرجـاءِ مفقودُ القَطِينْ[3]
وهو يرنـو في وُجـومٍ واكتئابْ يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـه والأنـينْ

* * *

ويُـدوّي حولَه صَمـتُ الفَناءْ حيـث تُمْحَـى كلُّ آثـارِ الوجُودْ
أينَ؟ – لا أينَ! – الأماني والرّجاءْ طَمَسَ اليـأسُ عليهـا والكُنُودْ[4]

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢
١- الهشيم: اليابس من كلّ شيء
٢- يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.
٣- القطين: المقيم.
٤- الكُنُود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

خريف الحياة *

بَكَـرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ ومَشـى الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ
صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو رُ بها، وما تشـدُو الجداوُل بالخريرْ
وسَـرَى القَفارُ بكلّ مُخصِبَةٍ فَما تجدُ الخصيبَ بهـا؛ وما تجدُ النضيرْ
والسُّـحبُ طافيةُ تُغشّي كالسُّتور وتسـيرُ وانيةَ الخُطا سـيرَ الأسيرْ
فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقها الأسـي وإذا القلوبُ بها كَليمٌ أو كَسـيرْ[1]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبّ من هذا البكورِ غامت عليه سـحابةُ اليـأسِ المريرْ
وذوتْ بجنتـهِ أفانـينُ المُـنى وخَبا بهيكلِ حُسـنِه القبـسُ المنيرْ
وسَها عن التقديس والتسبيحِ في محرابه العُبّـادُ مَسْـحُورو الدهورْ
ومَشَوا بساحته كما يمشي الخليُّ مـن الغرامِ فـلا حنينَ ولا شُـعورْ
هانتْ شَـعائرهُ ومَسّ سـتورهَ في جُرْأةٍ، غـيرُ المقـدسِ والطّهورْ

* * *

الأرضُ غـيرُ الأرضِ في دورانها لتكادُ مِـنْ فَرْط السّـآمة لا تدُورْ
والريحُ غيرُ الريـحِ في جَولانها لتكادُ تكتـمُ في جَوانحها[6] الزفيرْ[1]

* نشرت عام ١٩٣٤
١- يَغضُّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غـــيرُ الطـــيرِ في ألحانِها لتكادُ تَنْعَبُ بالخـــرابِ وبالثبور[٢]

والنـــاسُ غيرُ النـــاسِ في آمالِها ليكادُ يجْشُـــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريـــفُ فويلَه هذا البكورَ ودنَا المصيرُ فويلَه هـــذا المصيرْ![٣]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلهُ)

النفس الضائعة*

أنني أنـــا؟ أم ذاك رمـــزٌ لغابرِ؟ لأَنْكَرْتُ من نفسي أخصَّ شعائري!

لأَنْكَرْتُ إحساسِي وأنكرتُ منْزَعي وأنكرتُ آمالي، وشَتَّى خَواطري[١]

وأنكرتُ شِعْرِي وهو نفسِي بريئةٌ مُمَحَّضـــةٌ مـــن كلِّ خلـــطِ مُخامرِ

وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعِري عهـــودٌ وآبـــادٌ طِـــوالُ الدياجـــرِ

وأحســـبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها يخيّـــلُ لـــي: أنْ لم تمـــرَّ بخاطـــري!

* * *

أنَقِّبُ عـــن ماضِيَّ بين ســـرائري فألْمحُه كالوهمِ؛ أو طيف عابرِ[٢]

أعيـــشُ بـــلا مـــاضٍ كأنِّـــيَ نَبتَةٌ على السطح تطفُو في مهبِّ الأعاصرِ!

ومـــا غابـــرُ الإنســـانِ إلا جُذورُه فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جِـــذْرِ مُؤازِرِ؟

وقد يتعـــزَّى المرءُ عن فقـــدِ قابلٍ فكيفَ عزاءُ المـــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفســـي التي قد فقدتُها بنفســـي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ!

واطلبُها في الـــروضِ إذ كان هَمُّهَا تَأمُّلـــهُ يُفْضـــي بتلـــك الأزاهرِ

وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفا تيقَّـــظ فيهـــا كل غافٍ وســـادرِ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: التروع إلى الغاية والتروع: الحنين والشوق.

٢- أنَقِّبُ: أبحث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى وتُوميءُ لـلأرواحِ إيماءَ سـاحرِ
وفي الفجرِ، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ[1]
وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً ومَهْبِـطَ آمـالٍ ومَطْمَـحَ ثائرِ
وفي النَّكْبـةِ النَّكْبـاءِ والغبطةِ التي تجودُ بهـا الأقدارُ جُـودَ المُحاذِرِ!
ولكنّـني أيئسـتُ أن ألتقـي بها وتاهتْ بـوادٍ غامرِ التيـه غائرِ
سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه يـدانٍ، ولا يَجْلُوه ضـوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجى: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

ياليتَ شِـعْري، مـا يُحبِّئُه غَدي؟ إني أروحُ مـع الظنونِ وأغْتدي[1]
وأُجيـلُ بَاصرتـي بهـا وبَصيرَتي أبغي الهُـدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]
حـتى إذا لاحَ اليقـينُ خِلالَهـا أشـفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ
وأشـحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعَوْتُه وطرحـتُ عني حَيْـرَتي وتَرَدُّدي
فكأنـني المـلّاحُ تـاهَ سـفينهٌ ويخافُ من شـطّ مريـبٍ أجْرَدِ!

* * *

مَاذا سَـيُولَدُ يومَ تُولَـدُ يا غدي؟ إنّـي أُحسُّ بهـولِ هـذا المولدِ!
سَـيصرّخُ الشـكُّ الدفينُ بمُهْجَتي فأبيتُ فاقدَ خـيرَ ما ملكتْ يدي
سـتروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ تُضفـي علـى بعطفِهـا المُتودِدِ
سـتَجِفُّ أزهـارٌ يفـوحُ عبيرُها حَولي؛ وينفحني بها الأرجُ النَّدي[3]
والمِشْـعَل الهادي سـيخبُو ضوؤه ويلفُّـني الليـلُ البهيـمُ بمفردي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يــومَ تذهبُ ياغَدي ؟ لاشــيءَ بَعــد الفَقْــد للمتفقدْ

«سَــتُخلّفُ الأيــامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبــارَ الفدفد[٤]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أســف على مــاضٍ يضيــعُ كأنّه لَــم يُوجَد

أبداً ولا ذِكْرى تُجَــدّدُ ماانطوى حتى التــألم لا يعودُ بِمَشْــهَدِى!

رَبَّــاه إنى قــدْ سِــئمت تــردُّدِى فــالآنِ ،فَلْتَقْدُمْ بهولــك ياغَدي

* * *

[٤] – صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريبـ..! *

غريــبٌ . أجــل أنــا في غُرْبــةٍ وإن حَــفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ

غريــبٌ بنفسِــي ومــا تنطوي عليــه حَنايــا فــؤادِي الحُنُــونْ

غريــبٌ وإنْ كَانَ لَّــا يــزلْ ببعــضِ القلــوبِ لِقلــبي حنينْ

ولكنّهــا داخلتْهــا الظنــونُ وجَــاورَ فيهــا الشُّــكُوكَ اليقينْ

غريــبٌ فَوَاحاجــتي للمُعــين ووالهَــف نفســي للمُخلصــينْ

* * *

أكادُ أُشــارفُ قفــرَ الحيــاةِ فأُشْــفِقُ مــن هولــهِ المرعــبِ

هنالــك حيــثُ رُكامُ الفَنــاءِ يَلُــوحُ كمقــبرة الغيهــب[١]

هنالــك حيــثُ يمــوتُ الرّجاءُ وتشــوي الأمــاني كالمُتْعَــبِ

فأرْجــعُ كالجــازعِ المُســتطار أُرجّــي أمــانيَّ في المَهْــرَبِ[٢]

ولكنــه مُقْفِــرٌ أو يــكادُ فيــا للغريــبِ، ولم يَغْــرُبِ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغَيهَبُ: الظُّلمة.

٢- المستطار: الفزِع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمس مَرّ يومْ!
نَبأ يَأباه وِجْدَاني وحسّي فهو وَهْمْ

* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعهُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسأل الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!

* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقهْ؟
أمْ تُرى يومٌ طواه العَقْرَبانِ في دقيقهْ؟ [1]

* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكْذِبُ الأفلاكُ أمْ حسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحَرْ؟

* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو محْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!

* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكمِ فلا هي تُفَرِّقْ [2]
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلا أو تُحققْ! [3]

* * *

ونُوديها كما تَبْغي الحسابَ وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو [4]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مَرَّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثَّلاثِين نَصِّي! الرِّكابَ حَثِيثةً يالَيالِ [1]
مَضي من العُمرِ أغْلى اللُّبَابِ فلستُ آسٍ لِغالِ
مَضى من العُمرِ ما يُستَطابُ مِنَ بَهجةٍ أو جَمالِ
مَضى كما جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهدُ المُنَى والخيالِ
وضَاعَ في غَمرةٍ واضْطرابٍ ومَرَّ دُونَ احتفالِ
فأسرعي يالَيالِ
عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهلِينْ؟ وأيّ غيبٍ تَهابْ؟
وما احتفالٌ بِمرِّ السّنين؟ من بعدِ مَرِّ الشَّبابْ؟
وما الذي يالِيالِ يكونُ بعد اكْتِهَالِ الرِّغَابْ
يكونُ - وَاحَسْرتَاه - السكونُ عَلى ضفافِ اليَبابْ؟ [2]
يكونُ - كالقيدِ - عَقلُ رزينٌ! يعطُو لشطِّ الصّوابْ! [3]
فِيَ السُوءِ المآبْ [4]

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.

١- نَصي : اظهري من نَص ينصُّ: رفع وأظهر، عّن وحدد.

٢- الرِّكاب: ما توضع فيه الرِّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.
الحثيثة: السريعة الجادة.

٣- يَعطو: يطلّع.

٤- المآب: المصير

فذلك العقلُ رمزُ القيودِ ونحنُ شرُّ العُنَاه[1]
يَزُودُنا عن مراقي الخُلُودِ وخَيرِ ما في الحَياهْ
والطيشُ رمزُ الشَّبابِ المُريدِ يَسمُو بنا عَن مداهْ
فنحنُ نَرْنُو لهذا الوجودِ بفتْنَةٍ وانْتِبَاهْ
فلا نُبالي بِصَرْفِ الجُدودِ ولا نَخافُ الغَداهْ[2]
فكلُّ يومٍ حَياهْ
يُضَاعَفُ اليومَ منّي المُصَاب إنْ لَم أعِشْ بالخيالِ
قَضَيتُ – واحسرتَاهُ – الشّبابَ كالكهل في كلّ حَالِ
يجيشُ بالنفس سَيْلُ الرّغَابِ فلا يُمَسّي اعتدالي
وَوُجْهَتي في الحياةِ الصَّوَابُ ونظرتي للمآل![3]
عصيتُ أمْرَ الحياةِ المُجَابُ فكان رُشْدي ضَلالي!
فأسْرِعي ياليالِ

* * *

١ – العُنَّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.
٢– بصرف: من صرَف الدهر: نوائبه وحدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخططها الحظ لنا.
٣– المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزّمنِ الوثّابِ بعضَ التّوثُّبِ إلى أيـنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرّيـنَ كالأوهـام لا أسْـتَبِينُها وتَمضِـين عَنّي مَوْكِباً إثْرَ مَوْكبِ
وإني كالمخمُـور قد غَـابَ وَعْيُه وكالشّـبَح الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَب[1]
تشـابهت الأبعادُ عنـدي فما أرى أمامـي فَرقاً بـين نـاءٍ ومُكْثَبِ[2]
ويـا رُبّمـا أنـس أمُـوراً قَريبةً وأوغل في الماضـي البعيد المُنكّبِ[3]

* * *

خُطَا الزّمنِ الوَثّابِ. بعضَ التوثُّب طَويت حَيـاتي بينَ صبُـحٍ ومَغْرِبِ
قِفي لحظةً؛ أنظُـرْ إلى الأمل الذي ضَمْمـتِ ثَناياه علـى كلّ مُعْجِبِ
وأسْـتَرْجِعُ المَاضـي رُويـداً وَهينَةً أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحكُ الصبّي[4]
وأسْـمَعُ أوهـامَ الفـتى وخَيالَه كما يَسْمَعُ المُشـتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
قِفي لحظةً؛ أنظُـرْ إلى الأمل الذي أبَحْتُ له من مُهْجَتي كلَّ مَشْـرَبِ
وغَذّيتُه نَفْسـي، وقَـدْ بِعْتُ دُونَه حَواضـرَ أيامي ومَاضـي المُجَرّبِ

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧
١– الهَيمان: من هَام يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.
٢– ناء : بعيد. مكثب: قريب.
٣– المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحّى.
٤– هينة: بطيئاً.

قِفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيَّ فانزوي ونَفَّـرتِ آمالي وعَمَّيْـتِ مَآرَبِي[1]

* * *

تَمرَّين يـا أيـام قَفْـراءَ؟ أمْ أنا خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَـبُ أنْ لَن تُعْـربي بِمقالةٍ إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لمُعْرِبِ![3]

* * *

1- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

2- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

4- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُـدُ السُّـلْوَانَ من حُبٍّ عَقيم وتـرومُ الْبُـرءَ مـن دَاءٍ قـديم

ها هُو السُّـلوانُ فانْظُـرْ: أترَى شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟ [1]

شَـاه في خاطِرِك الكـونُ وماتْ وتَخَلَّتْ عنـك أحْلَى الذِّكْرَياتْ[2]

وبَـدَا العُمْـرُ حَزينـاً عَاطِـلاً كامِدَ السَّـحْنَةِ مَجفُوّ السِّـمَاتْ

قَدْ مَضَـى الحُلْمُ، فحقّق في العَيانْ هل تَرى إلاّ خـواءً في الزَّمَانْ؟[3]

وتَهاويلُ الـرُّؤى... يـا ويَحها! غالها الصَّحْوُ فماتَـتْ مُنْذُ كَانْ![4]

نَـمْ قَريرَ العـينِ إنْ كنـتَ تَنامْ لَفَّكَ الصمـتُ وغَشَّـاكَ الظَّلامْ

يَأمَـنُ الدُّنيَـا ويَخْلُـو لِلكَرى مُعْـدَم الكفينِ مَفْقُـودَ الحُطَامْ![5]

قَدْ خَلا الهيكلُ مـن وَحْي الصنَّمْ وغَدا معبـودُكَ الأسْـنَى حُطَمْ[6]

أتُطيـقُ الآن تَحيـا مُلْحِـدَا أم تُـرى تَخلُـو لشـيطانِ النَّدَمْ

ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ أتَـرى الأمْـنَ هُنا بـين اليبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيهـا المنكـوبُ في أحْلـى المُنَى الحياةُ الحـُّب والحُـُّب العَذابْ!
ضِقْـتَ بالقيدِ! فها أنـتَ طلَيقْ! ما يُبَاليـكَ إذن حَـادي الرِّقيقْ!
فَهُـو يُحْلِي في الفيافِـي كلَّ مَنْ لا يُسـاوي ثَمَنَ القيـدِ الوَثيقْ![1]
عُمْـرُك الفَـارِغُ كالثِّقْـلِ زَهيدْ ليس فيـه مِنْ طَريـفٍ[9] أو تَليدْ[2]
وهـي الأيـامُ تَقْضِـي مثْلَمـا تَنْقَضِـي أيـامُ مَأجُـورٍ شَـريدْ
أيـنَ أحْلامُكَ بالعُـشِّ الجميلْ؟ أيـنَ آمَالُـك في الظِّـلِّ الظَّليلْ؟
قَـدْ مَضَـى الحُلْمُ ووَلّـى مُوهِنَا فاركـنْ الآن إلى الصّحوِ الطَّويلْ!
تَمّـض يا منكودُ ما كنـتَ تَرومْ ومَشَى السُّـلوانُ في الحبِّ القديمْ
نَـمْ قريـرَ العَينِ واهنَـأ بالكَرى الكَـرى الميِّتِ في القلـبِ العَقيمْ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات
٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم

الحنين

كان ، والمؤلمُ في (كان) الفَنَاءُ !

حيث لا رُجعي ولا طيفُ أمَلْ

عهد الصغر *

إذا الليـــل جَـــنَّ تجيـــشُ الفكَـــر ويُـــؤرِّقُ جَفْنِـــي مَـــرُّ الذِّكَرْ[1]

ويخلُـــو فـــؤادِي لأحلامِـــه فيجعـــلُ منهـــا حديثَ السَّـــمَرْ

وتَخْلُـــدُ رُوحـــي إلى الذكرياتِ فَتَسْـــري تِبَاعـــاً ســـراعاً تَمُـــرْ

فآنـــاً تُـــؤزُّ وآنـــاً تَلِـــذُّ وآنـــاً تَسُـــوءُ وآنـــاً تَسُـــرْ[2]

هـــدوءٌ طويـــلٌ وصمـــتٌ رهيبٌ وفي النَّفْسِ أشـــجانُها تَشْـــتَجِرْ

إذا مـــا ذَكَـــرْتُ زمانـــاً تَقَضَّـــى بديـــعَ الرُّسُـــومِ جميـــلَ الأثـــرْ

تـــراءى لِنَفْسِـــي عهـــدُ الصِّغَـــرِ فتشـــتاقُ نَفْسِـــي لعهـــدِ الصِّغَرْ

لعهـــدِ الرِّضَـــاء وعهـــدِ الحُبورِ وعهـــدِ الصَّفَـــاء القليـــلِ الكَدَرْ

أنـــامُ وأصْحـــو علـــى ما أشـــاءُ طـــروبَ الفـــؤادِ قريـــرَ النَظَرْ

وتصحُـــو الغزالـــةُ مِـــن خِدْرِها فتزهُو الـــورودُ ويحيـــا الزَّهَرْ[3]

وتبـــدو الرِيـــاضُ ريـــاضُ القُرى بوشـــيٍ جميـــلٍ ووجـــهٍ نَضِـــرْ

ويَسْـــجَعُ فيهـــا الحمـــامُ طروباً وتشـــدُو البلابلُ فوقَ الشـــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تؤز: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعـى الله عهـداً جميـلاً تولّـى وخلّفنـي للأسـى ثـمّ مَـرْ
وأسْـلَمني لِصعـاب الأمـورِ وكيـدِ الصّروفِ وطولِ السّـهرْ

* * *

ألا يَـا رَعـى الله عهـدَ الصّغَـرِ ألا يـا لحـا الله عهـدَ الكِبَرْ[1]
فذلـك عهـدٌ صبَـوحٌ أغَـرْ وهـذا عبـوسٌ ظَلـومٌ قَتِـرْ

* * *

١- لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثـاني بمـا مَضَـى حَدِّثَانـي وأعيـدَا إليَّ عَهْـدَ الأمانـي
واذكـرُا لي زمانَ عشـتُ طَروباً لا أُبـالي بحادثـاتِ الزمـانِ
وصِفَـا لي لياليـاً قَـد تَقَضَّـتْ كنتُ فيهـا كالحالِمِ الوَسْـنَانِ
صَوِّرَا لي الريـاضَ والزهرَ والوردَ ولحنَ الطيـورِ عَـذْبَ الأغاني
وأعيـدَا لَمْسَـمَعي ذكريـاتٍ لا تَصَـدَّى لهـا يـدُ النّسـيانِ
واسمحَـا لي بزفـرةٍ وحَنـينٍ ليس لي سَلوة سِـوى التحنانِ[1]
واغفـرا لي دُمـوعَ عيـني فـإني لأرى الدمـعَ فـوقَ كل بيـانِ
إنّـه النّفْـسُ رُقّقَـتْ ثم سَـالتْ أو هـو القلبُ ذَائبـاً من حنانِ
وأقـلُّ الوفـاءِ للعهـدِ ذِكْـرى هي خيرٌ مـن حاضـرِ الأزمانِ
وقليـلُ عنـد التذكُّـر شـوقٌ ودُمـوعٌ تُكـنُّ أسْـمى المعاني
إنّ ذِكْـرى القديم للنّفْسِ تُؤسِـي وتُهيِّـجُ الشُـجونَ للوجـدانِ
وهُـو والله بعـضُ أجزاءِ نَفْسِـي باعـدتْ بينهـا يَـدُ الحَدثَانِ[2]
فاذكُـرَا لـي القديم همسـاً ورفقاً ودَعَـاني أجيـشُ لا تَعـذِلانِ

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثان: الليل والنهار

يـا ديـاراً نَشـأتُ فيهـا صبيًّا وصَحِبتُ الشـبابَ في العُنفُوَانِ

لـكِ مـني تحيـةٌ وسـلامٌ أنـتِ دارُ النعيـمِ والرِّضْـوانِ

فيـك يـا دارُ من صِباي رسـومٌ زاهيـاتُ النقـوشِ والألـوانِ

هـي عندي أعـزُّ من كلِّ شـيءٍ وهـي تبقـى وكلُّ ما عَـزَّ فَانِ

فيـك يـا دارُ من هَواي رَسـيسٌ وألـدُّ الهوى هـوى الشُّـبانِ[1]

* * *

فهو رَوضُ الحيـاةِ في ذلك الحينِ وفيـه القُطـوفُ شـتى دَوانِ

وهو وحي من جانـب الله يُوحي وهـو سـرُّ الإلـه في الإنسـانِ

مـا أرى العيشَ غـيرَ حبٍّ بريءٍ مـن ذميـمِ الأهـواءِ والأدْرَانِ

رُبَّ يـومٍ قضيتُـه في حُبـورٍ بـين جمـعٍ من صفـوةِ الخِـلَّانِ

دونَـه الدهـرُ والحيـاةُ جميعـاً في رِضـاءٍ ومتعـةٍ وامتنـانِ

* * *

إن تلـك الحيـاةَ شـيءٌ عجيبٌ وهـي النَّفْـسُ كلَّ يومٍ بِشَـانِ

كيـف كان الربيـعُ ثوبـاً بهيجاً وهـو اليـومَ نَاصِلُ الألـوانِ؟[2]

ها هـو الروضُ والـوردُ والزهرُ وهـذا الحَمَـامُ مـن فـوق بانِ

لا أرى الـوردَ غير جذرٍ وسـاقٍ أو أُحِـسُّ الغنـاء عذباً شَـجاني

١- رسيس من رسَّ يُرسُّ رسيساً: دخل وثبت المراد: أثر باق ثابت.

٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصلَ اللون : زال اللون

إنهـا النَّفْـسُ حين تَصفُـو تَراها خلعـتْ صَفْوها علـى الأكوانِ

وهـي النَّفْسُ حـين تَغْبَـرُّ يَبْدُو كلُّ نـورٍ أمامهـا كالدُّخَـانِ

لو تسـاوى الإحساس في كلِّ آنٍ تتسـاوى الأشـياء في كلِّ آنِ

عَمَّـرك الله مـا المحاسِـنُ إلا صـورةُ النَّفْـسِ في بديـع افتنانِ

وكـذا القُبْحُ صورةٌ قـد تَراءتْ في خيـالٍ فحُققـت للعيـانِ

فرعـى الله عهـدَ أُنـس أراني صـورةَ الكَونِ في جمالِ الحسـانِ

وَرَعـى الله خـيرةً ورفاقـاً ورَعَـى الله أربعـاً ومَغـانِي[1]

* * *

١- أربعاً: مفردة ربع، والرَّبع محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَبَحُ الماضي وما الماضي سوى بعض نَفْسي قد تولاَّه العَدَمْ
يَتراءى كُلَّما شطَّ النَّوى فإذا الذكرى شُجُونٌ وألمْ
وإذا الكامنُ في نَفْسيَ ثارَ
جائشاً مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلَّما أقبلَ يومٌ ومَضَى أوْغَلَ الماضي بمجهول سَحيقْ
ذاهباً عني كبرق أوْمضَا ثم دَوَّى بعده الصمتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحته صَخَبٌ مُثارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ
آه لو ملكتُ تصريفَ الزَّمْن كيفمَا أهوى وأنّي أرْغَبُ
لرجعتُ الدَّهْرَ للماضي إذَنْ فإذا بي حيثُ كُنَّا نَلْعَبُ
ورفاقٌ ليّنُو العودِ صِغارٌ
ليس تدري الألَما
والهُمُومْ
زَهَرَاتٌ نَضرَاتٌ باسماتٌ تلمح الغبطة فيها والرضاء
مَرحَاتٌ مَشرقاتٌ لاهياتٌ لا تَرى في الكونِ إلا ما تَشَاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَانِي الثّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكُرومْ

تَتَساقى الودّ مِنْ غيرِ انْتباه فإذا العيشُ سرورٌ وفَرَح[1]
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه تتبدَّى في نشاطٍ ومَرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعيمْ
أينَ منّي ذلك العهدُ الوَسيمُ أينَ منّي بعضُ أيامِ الصِّغْر
إنَّها مَرَّتْ كما يهفُو النسيمُ فَيُحَيي ويُحييه الزَّهَرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّليمْ[2]
أيُّها الماضي رُويداً في خُطَاكَ فعلامَ اليومَ تَمْضي مُسْرعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنَا طولُ نَواكَ وبحَسْبي منْكَ أن لن تَرْجعَا[1]
لَجَّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنـا أرثيـك يـا عَهْـدَ المُنَى؟ أأنـا أرْثيـكَ يـا عهـدَ الوَفَاءِ؟
أنْـتَ يَـا عَهْـدُ أأرْثِيـكَ أنَا؟ لا. فَلَـنْ أقْوى على هـذَا الرّثَاء!

* * *

لا. ولَنْ يَجـرى على الطّرْس قلمٌ لا. ولَـنْ تُعْلِـنَ هَـذَا كَلِمَاتْ[1]
أرثَـاء؟ أغَـدَا الماضِـي عَـدَمٌ؟ أو هـل يَغْـدُو رَهينـاً بِفَواتْ؟

* * *

رَبّ . حقٌ ذاكَ أمْ هاجِسُ سـوْء يَنْفُـثُ الهـمَّ بِنفسـي والقَلَقْ؟
أمضَى عهـدٌ هو العمـرُ الهنيءُ؟ أو حـقٌ ذاك يـاربُّ أحَـقْ؟

* * *

أوَ عهـدٌ هـو رَيَّـا مُهْجَتَـين وهُو سَـارٍ في الحَنَايَا والشّعَاب[2]
يَنْطَـوِى كا لـبرقِ في غَمْضَةِ عين ثم يبـدُو لا نحاً مِثْل السَّـرَابْ؟

* * *

أوَ يغـدو ذلـك العهـدُ الوسـيمُ حُطَماً[11] تَلْهُو به أيـدى الفَنَاءْ؟
زَهْـرةٌ في الكُـمِ تَلْقَاهَـا هَشـيمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِـقاء[3]

---

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.
١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه
٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.
٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَـا مَشْـواكَ يـا عهـدُ. هُنا؟ أهُنا يـا عهد أقْصَـى خُطواتِكْ؟
وإذَا أدْعُـوك يـا عهـدَ المُنَـى لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتِكْ؟

* * *

وإذَا قَلّبْـتُ يـا عهـدُ يـديَّ حسـرةً قاتلـةً أو لَهْفَـا
أتُـرى تَرنُـو بإشـفاق إليَّ أم تَـرُدَّ الطَّرْفَ عَنّـى صَدْفَا؟[1]

* * *

ولو أنى اسـطعتُ يا(عهـدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ سـنينْ
فبـأي القـولِ أسـطيعُ الوَفَـاءْ وبـأيّ الدمـعِ تُذْرِيـه العيونْ؟

* * *

أنْتَ جـزءٌ من فؤادى قَـدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القـولِ في صَدْعِ فُؤادْ؟
أو غَنَـاءُ الدّمْعِ في مـاضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّـى مِنْ تِلادْ؟[2]

* * *

آه يـا عهـدُ ومـا آلَمَ آهْ وهي ذَوْبُ النفـسِ لا رَجْعُ أنينْ
أُغـربي عَنّـي بعيـداً يـا حَيـاهْ لا يطيـقُ العيشَ منكـوبٌ حزينْ

* * *

١- صدَفا: من صَدَف عنه يَصدِفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.
٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُـزَّ حـتى لَتُوقِيـه العيـونُ وتَفْديـه الأمَـاني والقُلـوبْ
وتَسـامَى عَـنْ مَنـالاتِ الظُّنونِ وبَـدَا كالخُلْدِ مَأمـونَ المَغيبْ
لا تَراه النفسُ إلاَّ بَاقِيا
أبدَ الدهر قويّاً وَاقِيَا
طاهرَ الأردَانِ عَفَّا سَامِيَا[1]
كالرجاءِ العَذْبِ في الذِّهن الخصيبِ زَاخِراً مَـا إنْ يُرائِي أو يَخيبْ
هُـو عَهـدٌ صِيغَ مـن حُـبٍّ نَقيٍّ وسُـمُو فوقَ إحْسـاسِ البَشَرْ
وَوِقـاءٌ سـابغُ الغيـضِ نَـدِيٌّ وحَنـانُ مِثـلَ أرْواحِ الزَّهَرْ[2]
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ النَّقَاءْ[3]
وتَجلَّـى الغيـبُ عَنْـه فَسـفَرَ في جـلالٍ وجمـالٍ مُزْدَهِـرْ
كَانَ. والمُؤْلِـمُ في (كَانَ) الفَنـاءُ! حيثُ لا رُجْعَـي ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَـاه بَغْتَـةً سَـهْمُ القَضَـاءِ فَتَراخَـى في انحـلالٍ واضْمَحلْ

* نشرت عام ١٩٣٠.
١- الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.
٢- الغيض: القليل.
٣- أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حِينٍ خَاليَا
من رُوَاءٍ كان فيه حَالِيَا[1]
مُوحِشَ الأرجَاءِ يبدُو خَاوِيَا
غـاضَ منـه كلُّ أُنْـسٍ وارتَحَلْ مِثْلَما يَخْلُـوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[2]
أيُّهـا العهـدُ الـذي مَـرّ. وَدَاعاً هـو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ
سـوفَ تَبْقَى أبـدَ الدَّهْرِ شُـعاعاً في ضمـيري يَتَـراءى في الظُّلَمْ
سوف أبْكيكِ بُكاءَ الثَّاكِلِ
وأروّيكَ بِدَمْعِي الهاطِلِ
وأُناجيكَ بِقَلْبِي الذَّابِلِ
طَالَمـا أحْيَـا فَأمَّـا يَنْصَـرِمْ ذَلـكَ العمـرُ تولاّنـا العَدَمْ

* * *

١- حالياً: مزيناً
٢- الطلل: بقايا الدور

السعادة حديث الأشقياء *

إيــه حَــدِّثْ عــن السَّــعادة إني قد مللتُ الشَّــقَاء كلَّ الشَّــقاء
أطلــعِ الصبُّــحَ في حَديثــك يجلو بعضَ هذا الأســى بفيض الضيّاء
يا أخــي ضَاقَ بالحــوادث ذَرْعي وسَــئمتُ الشَّــكاةَ مِنْ بَأسائي
ومَللــتُ الحديــثَ فيهــا فحدِّثْ أنتَ يــا صَاحبي حديــثَ الهَناء
إنَّ بعــضَ الحديثِ يُدنــي الأماني بخيوطٍ – وإنْ وَهتْ – مِنْ رَجاء

* * *

أبْعــثُ الطَّــرْفَ في الفَضــاءِ مَليًّا فأرى الأفــقَ ضيقــاً في الفَضاء
والصبــاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْــري لفــؤادي كمــا سَــرَى بالرِّضَاء
والربيــعُ الأنيــقُ ما عَــادَ يُذكى فــيَّ وَمْــضَ الحيــاة كالأحياء
والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً عــادَ مَيْتــاً مُعَطَّــلَ الإيحَــاء
هــي نفسٌ أحالــتْ الكــونَ قَفْراً فتــراءَى مُعطــلاً مــنْ وَرَاء
هــي نفــسٌ تَحطَّمَتْ يالنفســي هي دَائي فلســتُ أرجو شِــفَائي

* * *

يا أخي ثارتْ الشُّــجون وهاجتْ حُرقَــاتي وأيقظــتْ لأوائــي[1]
يا أخي هَات مــن حديثك. صَوِّرْ في خَيــالي مَلامــحَ السُّــعَدَاء
كيــفَ يَحيَــون غبْطَةً وابتســامَا كيــفَ يرضَون للأمانــي الوضَاء
أو فأمْســكْ فــكلُّ شــيءٍ مُثيرٌ لشُــجُوني. وخلِّــنِ وشَــقَائي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١- الأواء: الشدّة والألم.

ياريف تدعوني إليك؛ إنني

للمستطار إلى لقاكَ الظامي

ليلات في الريف *

مِــنْ حنينِ الفــؤادِ؛ مِــن خَفَقَاتِه ذلك الشّــعرُ، من صَدى زَفَرَاتِه
وَسِــعَتْه الألفــاظُ وَزْنــاً ومَعْنَــى ثم ضاقــتْ عن رُوحه وسِــمَاتِه
هُــو وحــيٌ لذكريــاتٍ حِسَــانٍ أوْدَعَ الخُلْــدُ بينهــا ذِكْرَياتــه
ولَيــالٍ يَــا حُسْــنَها مِــنْ لَيــالٍ يَشْــتَريها مُخلّــدٌ بحياتــه
هَمسَ الصمــتُ بينها هَمسَــاتٍ خَفَّــضَ الكونُ عِنْدهــا خَفَقاتِه
وسَــرى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْــتَغْرِقٍ في سُــباتِه

* * *

يــا جمــالاً بريــفِ مِصَــر قريراً هــادِىءِ البالِ في خُشــوعٍ وَقُورِ
لســتُ أنســى فيكَ ليــاليَ مرتْ هُنــاّ أطيــافُ عهدنــا المَأثُــورِ
حينَ نَسْــرِى والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً فوقَ ســهلٍ كالعَيْلمِ المَسْجُور[1]
بينمــا الزهــرُ حــالمٌ في رُبْــاه وغُصــونٍ مُهَــدَّلاتِ الشُّــعُورِ
وخريــرُ الأمــواه سَــاجٍ رتيبٌ مثــلَ شَــدْوٍ في عَالَمٍ مَسْــحُور
ونَجــيٌّ مــن الرِّفــاقِ بِهَمْــسٍ وحديثٍ مُسْــتَعذَبٍ مِنْ سَــمِيرِ
قَــدْ وَعَــى الدهرُ هــذه الليلاتِ ووعينَــا آثارَهــا الباقيــاتِ

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْـرى تَوشَّـجَتْ بنفوسٍ حانيـاتٍ لطيفهـا رَاجِفَـاتِ[٣]
سـوف تُعييه رُقْيـةٌ مـن خُلُودٍ عوّذَتْهـا الفنـاءَ والحَادثاتِ.![٤]
هذه مَسْـكَةٌ مـن الأبـد البَاقي المعهـودِ قبـلَ خَلْـقِ الحيـاةِ
ذَحَرَتْهـا الأحقابُ حـتى اجتمعْنَا فأبيحـتْ فمالَهـا من فَـوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.
٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.
٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.
٤- عوّذها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحلامَ وطَـنى عليـك تَحيتي وسَـلامي
يا ريف فيـك من الخلـودِ أثَارَةٌ تنسـابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[١]
وتردُّ إحْسَاسِـي إليك إذَا خَلَتْ نفسـي إلى الآمـالِ والآلام
وكأنّني المسـحورُ يَقْفُو سَـاحِراً في بُهْـرةٍ كالطائـف النّـوام![٢]

* * *

إني فقدتُـك في الطفولـةِ غافلاً عَمّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السّـامي
لكن وجدتُـك إذ كبرتُ بخاطري رمـزاً أُحيـطَ بغَمْـرةِ الإبهـام
وتكشـفتْ نَفْسِـي فلُحتُ كأنما نَفْسِـي وأنْـتَ جُمِعْتُمـا بتُؤام[٣]
ووجدتُ أَحْلامـي لديكَ وَضيئةً لم تُبْـلِ جدّتَهـا يـدُ الأيـام
واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَـبُ أنني طـيرٌ يـؤوّبُ بعـدَ جَهـدٍ دَامِ
يا ريـفُ تَدعُوني إليـك؛ وإنني للمسـتطارُ إلى لقـاكَ الظّامـي!

* * *

هـذا الهـدوءُ كأنّما هُـو عَالَمٌ في الوهـمِ، لَـمْ يَتَبَـدَّ للأَقـوام
وكأنّه الحُلُـمُ الجميـلُ يَحوطُهُ صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسـامي
وتُحِس بالسـرِّ العميـقِ تَخالُهُ يُضْفِـي علـى الأيقـاظِ والنُّوام

* نشرت عام ١٩٣٣
١- أثارة: بقية
٢- في بهرة: في دهشة.
٣- بتؤام: التؤم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرّةُ

ويلوحُ في وضحِ النهارِ ويَنْطَوي ما بينَ طيـاتِ الظَّـلامِ الطَّامي[1]
هو ذلك السِّـرُ الـذي مِفْتاحُه ضُمَّـتْ عليـه جَوانـحُ الأهرامِ

* * *

إني أجـولُ بخاطـرٍ مُتنقـلٍ في حيثمـا امتـدَّ البسـيطُ أمامي
فـإذا مَواكـبُ للجمـالِ وَديعةٌ جمعَـتْ طرائفَهـا يَـدُ الإلهـامِ
للطيرِ فيهـا، للأزاهـرِ، مَوْكِبٌ للنـاسِ، للحشـراتِ، للأنْعـامِ!
متآلفين، سَـرى الرِّضَا لنفوسِهم فيما اغْتَذَوا من مَشْـرَبٍ وطَعامِ!
كلٌّ يرجِّـعُ للطبيعـةِ لَحْنَـه في ذلك الوادي الخصيـبِ النَّامي
وهُنـا الطبيعـةُ كالغريـرةِ إنمـا وَرِثَـتْ وقـارَ أُبـوّةٍ مُتَـرامِ![2]
تَلْهُـو، ولكـن في بـراءةِ طِفْلةٍ مـن نَسْـلِ آلهةٍ غَبَـرْنَ كِـرَامِ!
عَبَدتْهـم الأوهـامُ في غَمَراتِهَـا واندسَّ بعضُ الوهـمِ في الأفهَامِ
وتَوارثْتـه طبيعـةٌ خَلـدَتْ بهـا مصـرٌ علـى كَـرِّ من الأعـوامِ
يا ريفُ مِصَر، وأنت سِـرُّ بَقائِها اسـلمْ، فَدَتْكَ مَواهِبي وحُطَامِي.

* * *(1)

1– الطامي: الشديد .
2– الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليلات المبعوثة*

بعد عام كامل من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليلات مثلها، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاق، وكان عدد الليلاتِ الأولى والثانية مُتحداً.

أَهُـو البعـثُ ياليالـي الخُلودِ؟ أمْ تُـرى أنتِ نَفْخَـةٌ من جديدِ؟
أم تُـرى صـورةٌ منـك صِيغتْ بـين وَحـي الإلْهـامِ والتجويدِ؟
يـا ليالّي مـا أراكِ سِـوى أنتِ كمـا كنـتِ مـرة في الوجودِ!
ها هُنـا والزمـانُ يَحْلُم وَسْـنَا نَ سـعيدٌ لهـا بِحُلْـمٍ سَـعيدِ!
ورَنَـا البـدرُ في حَيـاءٍ وَديـعٍ وهـو راضٍ رِضـاءَ طفـلٍ وَليدِ
ورِفَاقـي هـم الرِّفاقُ، ونَفْسِـي هي نفسـي، وعَالَمي؛ وعهودي!
مـا أرى مَعْلَمـاً تغيَّر أو رَسْـماً مَحَتْه يـدُ الزمـانِ الكَنُـودِ[1]
أنـتِ ليلاتُنـا! فَقُصِّـي عَلينـا كيـف أفْلَتِّ من زمـانِ القيودِ؟

* * *

قَـدْ تسـللنَ خِفْيـةً في الظلامِ بينما الدهـرُ سَـادِرُ الأوهامِ![2]
ثم وَافينَنَـا وهُـنَّ سُـكَارَى حالمـاتٍ أَغْرِقْـنَ في الأحـلامِ
هامسـاتٍ لَنا. لقد بُعِـثَ العَهْدُ فهيـا مِـن كُلِّ لَهفـانَ ظَـامِ[3]

* نشرت عام ١٩٣٤
1– الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.
2– سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام
3– اللهفان: المتحسر.

فأجبنَـا دُعاءَهـنَّ سـراعاً وخلَعْنـا دُنيا الحجـا والحُطام[1]

ورقينا مَـدارجِ الخُلْـدِ والكَونُ مُسَـجًّى في غَفْلـةٍ وظَـلام

ها هُنا كنـتُ منذُ عـامٍ! ولكن يـا لنتفسـي! فها هُنـا أيَ عام!

مـا أرى للزمـانِ رسمـاً! فهذا كلُّ شـيءٍ هُنـا كرمزِ الـدَّوام

إيـه ليلاتنـا، أعيـدي علينـا قصة الخُلْـدِ، فالأماني ظَـوام[2]

* * *

خَيَّـمَ الليلُ في خُشُـوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤى، وخَفْـقِ القُلوبِ

وسَـرينا نرتـادُ سِـرّض الليالي وهـي تُفْضـي بسـرِّها عجيب!

ومَتاعـاً مـنَ الحيـاةِ نَفيسـاً ضَمَّنَتْـه آلاف عهـدٍ خَصيـبِ

قَـد رَشَـفْنَا خلاصةً منـه تُغْني عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّـعوبِ

وسَـرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّـرَتْ عنـه بالغنَـاءِ الرتيـبِ

وتسـامتْ أرواحُنـا في نَجـاءٍ وتهـادتْ قُلوبُنـا في دَبيـبِ

تلـك ليلاتُنـا، وهـذا صَدَاهَا إيـه ليلاتنـا؛ اخْلُـدي، لا تغيبي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.

٢- ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى أو الحرمان *

ريحانـتي الأولى وَرْوَحِ شـبابي أئذَا دَعْوتُ سَـمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ

أنا في الجحيـمِ هُنا وأنـت بجنّةٍ مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ شَـبابِ[1]

أنا في الجحيمِ وأنـت ناعمةُ المُنَى خَضْـراءُ ذاتُ تَطلّـعٍ وطِـلابِ

أنا لا أُريـدُكِ هاهنـا في عالَمي إني أُعيـذكِ مِـنْ لَظـىً وَعذَابِ

لَكنَّهـا الذِّكْرَى تثـورُ بخاطِري مَجْنُونَـةً حمقـاءَ ذاتَ غِـلابِ

* * *

عَيْنـي رَعَتْكِ وأنـتِ نَابتَةٌ فلم تَغْفَـلْ ولم تَفْتُـرُ ولم تَتألَـمِ

وتَعَهَّدَتْـكِ يَـدي وأنـتِ نخيلةٌ وغذَاكِ من نَفْسي الحَنانُ ومِنْ دَمي

فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلكِ تَنْتَشـي وتَهُـمُّ رَاقِصـةً وتَهْتِـفُ بالفـمِ

حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّـذى ألفيـتُ نَفْسـي في صميـمِ جَهنَّمِ

مُلْقىً هُنالـكَ لا أحُسُّ ولا أرى إلاّ الشُّـواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتـمِ[2]

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١-رَيقَ: من الرَّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيني وبينك شُـيَّةٌ لا تَنْتَهي أبداً أُقارِبُ حَولَها وأُباعِدُ
هي شُقَّةُ النفسِ الخَرابِ، وإنّها لمجاهلٌ لم تُكتشَف وفَدافِدُ[1]
الشمسُ فيها لا تُطِلُّ ومَا بِها إلا الرواكِدُ والظَّلامُ البَارِدُ
أنا لَسْتُ سَالكَهَا وأنت حَفِيةٌ أن تَجْنُبي عَنْها ونَجْمُكِ صَاعِدُ[2]
فإذا الذي بَيني وبينكِ كلُّهُ ذِكْرى تُطِلُّ برأسِها وتُعاوِدُ

* * *

وأراكِ مِنْ خَلِلِ الغيومِ أسِيفةً إذْ تَذْكُرِين رِعايتي وجُهودي
وتَرَيْنَ حَاضِرَنا وَغابِرَنا معاً وتُراجِعِينَ مَواثِقي وعُهودي
نَفْسي فداكِ فلا أراكِ شَجِيّةً تُرقي الغُصُونُ لوجهكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليكِ تَطلُّعي وتَلهُّفي وقفٌ عليكِ قَصائِدي ونَشِيدي
لكن أُعِيذُكِ خَطْرةً في عَالَمي إنّي أُعِيذُكِ وَحْشَتِي وُكُودِي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.
٢- حَفِية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لكَ يا جمالُ عِبَادتي لك أنْتَ وَحدَكَ يا جَمالْ
تعصى تعاليمُ الطُّغَاةِ، أو الهُدَاةِ على ضَلالْ
ويُخالَفُ التشريعُ جهراً أو خَفَاءً في احتيالْ
وتُجَانَبُ الأديانُ أو تُنْسى وتُهْجَرُ عَنْ مَلالْ
وأراكَ وَحدَكَ يا جمالُ تَلقى الخضوعَ والاحتفالْ
والحُبَّ والإيمانَ مِنْ كلِّ الأنامِ بكلِّ حَالْ!

* * *

المالُ مَعبودُ الحياةِ المُسْتَذِلُ قُوى الرجالْ
هو بعضَ قُربانِ النفوسِ إلى مَقَامِكَ في ابتهالْ
وأرى الألوهةَ فيكَ تُوحي بالعبادةِ في جَلالْ
ما أنتَ إلا مظْهَرٌ منها تُوشِّيهِ الظِّلالْ[1]
فإذا عَبدتُكَ لم أكُنْ يا حُسْنُ مِنْ أهلِ الضَّلالْ
بل كنتُ محمودَ العَقيدةِ في الحقيقةِ والخيالْ
أعْنُو لِمَنْ تَعنُو لَهُ كلُّ النفوسِ بلا مِثَالْ[2]
مُتَفرّقاً في الكَونِ في شَتى المَرائي[91] وَالخِلالْ
فإذا تَركَّزَ ها هُنا بَطُلَ التَّمحُّلُ والجِدَالْ![3]

* * *

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧
١- توشِّيه: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.
٢- أعنو: أخضع.
٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيكِ تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري وفي صَمْتِها المُوحي مرَادُ خَواطِري
تُطلُّ على الدنيا فتوقِظُ قَلْبَها وتمنحُ هذا الكونَ إيمانَ شَاعِرِ
وتَسْكُبُ في ألحانه عبقريةً من الفنِّ لم تخطرْ بآمالِ ساحرِ
وتجلُو من الدُّنيا عميقَ فنونها وتكشفُ في أطوائها كلَّ خاطرِ
ومِنْ عجبٍ تُوحي بفتنةِ ساحرٍ وتَهْمِسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه خواطرُ فنانٍ نَديِّ المشاعرِ
وقد رقَّ هذا الجسمُ حتى كأنه هَواتفُ حُلْمٍ ناعماتِ البَشَائرِ
وقد رقَّ هذا الصوتُ حتى كأنه أغاريدُ لَحْنٍ في السماواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هذا الخَطو حتى كأنه مرورُ نسيمٍ بالأزاهيرِ عاطرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري وإنكِ طيفٌ هَامسٌ للنواظرِ!

* * *

لأَيقظتِ في نفسي سعادةَ شاعرٍ وراحةَ موهوبٍ وغِبْطَةَ ذَاخرِ
وأشعرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا ومعنى الغِنى عن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَى فيه من أفقِ الخلودِ مدارجُ رَقَيْتُ إليها في سَنى منكِ باهرِ
سَبقتُ به خَطوَ الحياةِ لنَهْجِها وجُرْتُ به آفاقَها في المَعَابرِ
فيا لكِ من هَادٍ سَنِيِّ المنائرِ ويَا لي من سَارٍ وَحِيِّ البَصَائرِ

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظتِ أنبلَ ما يُجِنُّ ضَميري وبعثتِ جوهرَ عُنْصري المَطْمُورِ[1]
فإذا أنا الرُّوح التي تَسمُو بها دُنيا الحياةِ لأوْجها المنظورِ
وإذا أنا النُّورُ الذي تجلُو به تلك الحياةُ غَياهِبَ الدّيجورِ[2]
وإذا أنا الشَّوقُ الذي يَحدُو لها فتَغِذُّ بين مَسالكٍ وصخورِ
وإذا أنا الشِّعر الذي تَشْدُو به في نَشْوةٍ وتجيش بالتعبيرِ
وإذَا أنا الخيرُ المُمَحَّضُ والهدُى والحُبُّ والنَّجوى خِلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَفْتِ ضَمائري وجَلَوْتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ؟
وغَذَوتِ فيَّ فَضَائلي ورَوَيْتِها حتى أطلَّتْ بالجَنى المَذْخُورِ؟
وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامحي وجعلتِ أشواقي صلاةَ طُهورِ؟
بالحبِّ والحُسْنِ الوديعِ ونظرةٍ بيضاءَ صافيةٍ تُريحُ شُعوري
وتُحيلُ أشواقي رِضاءَ مُخلَّدٍ راضٍ بِخُلْدٍ لم يُشَبْ بِقُصُورِ
وتُحيلُني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى كالعطفِ، أو كالحُبِّ، أو كالنُّورِ
فإليكِ تَسْبيحي وهَمْسُ سَرائري وإليكِ غايةُ غِبْطَتي وسُروري

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجِنُّ: يستر.

٢- الدّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّــكِ الْجَميلِ فَأَوْبِى شَدَّ مَا اشْــتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبِى![1]
كانَ دِفئــاً وَكانَ مَرْتَــعَ صَفْــوٍ فكَسَــاهُ الصَّقِيعُ ثَوبَ القُطُوبِ[2]
مُنْــذُ غَادرْتِــهِ قَــدِ انْتَثَرَ الحبُّ وطَاحَــتْ بــهِ رِيَــاحُ الْهُبُــوبِ
وتَخَلَّــتْ عِنايــةَ اللهِ عَنْــهُ فَهُوَ فِي وَحْشَــةِ الغَرِيــبِ الكئيبِ
وَلَيَالِيــهِ شَــاجِياتٌ حَيــارَى يَتَرَامَيْــنَ حَوْلَــهُ مِــنْ لُغُــوبِ[3]

* * *

عُــودِي إِلى الْعُــشّ عــودِي وَرَفْرِفِــي مِــنْ جَدِيــدِ
وَرَنِّمِــي بالأَغَــانِي فِي جَــوِّهِ وَاسْــتَعِيدِي
وَأَدْفِئِــي بالأَمَانِــي مَــا مَسَّــهُ مِــنْ جُمُــودِ
وَتَمْتِمِــي بالتَّعَاوِيــذِ وَالرُّقَــى وَالنَّشِــيدِ
وَأَطْلِقِــي فِيــهِ لَحْنــاً يَشْــدُو لِحُــبٍّ سَــعِيدِ
وَيَطْــرُدُ الْيَــأسَ عَنْــهُ بالشَّــدْوِ والتَّغْرِيــدِ

* * *

* نشرت في شباط (فبراير)١٩٤٢

١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَــالَ انْتِظَــارُكِ وَهْنــاً فِي ظُلْمَــةٍ وَكُنُــودِ[1]
وَالرِّيــحُ تَعْبَــثُ فِيــهِ بــكلِّ غَــالٍ مَجِيــدِ
وَكلُّ خَفْــقِ جَنَــاحٍ أَوْ رَجْفَــةٍ مِــنْ بَعِيــدِ
يَخَــالُ فِيهــا مَآبــاً بَعْــدَ النَّــوَى وَالشُّــرودِ

* * *

عُــودِي إِلى الْعُــشّ عُــودِي وَرَفْرِفِــي مِــن جَدِيــدِ
أَضْنَــاكِ طُــولُ الشُّــرُود وَلَــذَّةُ التَّصْعِيــدِ
عُــودِي إِلى الدِّفْءِ فِي عُشِّــكِ الأَمِــينِ الــوَدُودِ
الْعُمْــرُ يَمْضِــي فَهَيَّــا نُعِيــدُهُ لِلْوُجُــودِ

* * *

١- وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تعالَيْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالَيْ. أوشكَتْ أنفاسُنا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيَا، ولا مَوْعِدْ
* * *

تعالَيْ. هذه الأيامُ لا تَرْجِعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولا تَسْمَعْ
ولا تُجْدِي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كلانَا ضَائِعٌ في الكون مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرضِ مَشْهُودُ
ولا أملٌ له في الغيبِ مَوعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَريبَيْنِ!
إذا عَاشَا – مَعَ الحبِّ– فَريدَيْنِ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّرِيدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَريقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضي حُبِّنَا أيْنَا؟
* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٣

تَعالَيْ نُحْي بالأشْواقِ مَاضِينَا
ونَبْعَثْ في حِمَى الحُبِّ لَيَالِينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْييه يُحْيِينَا
* * *

تعالَيْ لَمْ يَعُدْ في العُمْرِ مُتَّسَعُ
تعالَيْ لم يَعُدْ في الكَوْنِ مُنْتَجَعُ[1]
وغُولُ الدهرِ لا يُبْقِي ولا يَدَعْ
* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعْثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّينَا بأيامٍ عَزيزَاتِ
فيا أُخْتاه يَكْفِينا حَماقَاتِ
* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاع يَكْفِينا
فَعُودي. هَا هُو العُشُّ يُنَادِينا
فلا نُخْرِبْه يا أختُ بِأيْدِينا
* * *

ربيعُ العُمْرِ يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطْعِمْه أو نَغْنَمْ به ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا منْه سوى الذِّكْرى
* * *

١- منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين مِنْ العُمْر[1]
فَدِفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدي لَدَى القَرّ[2]
ورُوحُ الحُبِّ قَد يُحيِي لدى القَبْرِ

* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشِّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأيْدِينَا
وجَدْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذِينَا

* * *

تعالَى نَقْطَعِ البَاقِي مِنَ العُمْرِ
رَفِيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرّ
حَلِيفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ

* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَدْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجـوِّ يـا مصـرُ دِفءٌ يُدْنـي إلَيّ خيالَـكِ
وتَسْـتَجيشُ حنيـني إلى الليـالي هُنالِـكِ
للأُمسـيات السُّـكارَى نَشْـوى تَـرِفُّ حِيَالَـكِ
ونَسْـمَةٌ فيـكِ تَسْـري ريَّانَـةٌ[1] مـن جَمَالِـكِ
نجـواكِ مِـلْءُ فُـؤادِي تُـرى خَطَـرتُ بِبَالـكِ

* * *

النيـلُ والمـوجُ سَـارٍ يُقَبِّـلُ (الشُّـطْآن)
والبـدرُ والنـورُ سَـاهٍ كحـالِمٍ وَسْـنَانْ
وفي الجِـواءِ حنـينٌ مُجَنَّـحٌ حَـيرانْ[1]
ومـن هُنالِـكَ لَحْـنٌ يَهْفُـو إلى الآذانْ
صَـدَاه نَـاءٍ عميـقٌ في نـاي هـذا الزَّمـانْ

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠
١- الجواء : الواسع من الأمكنة.

في النفس يا مِصْر شوقٌ لخَطْرَةٍ في رُبَاكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَراكِ لنَفْحَةٍ مِنْ هَواكِ
لِوَمْضَةٍ مِنْ سَماكِ لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤاكِ
لليلةٍ فيك أُخْرى مع الرِّفاقِ هُنَاك
ظمآنُ تَهتفُ رُوحي متى تَراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائياتِ الضِّفَافْ هُنا فتاكِ الحبيبْ
عليه طَالَ المَطَافْ متى يعودُ الغريبْ؟

* * *

متى تَمُسُّ خُطاه ذاك الأديمَ المغبَّرْ
متى يَشُمُّ شَذَاه كالأُقحوانِ المُعَطَّرْ؟

* * *

متى تَرى عيناهْ تلك الربوعَ المواثلْ؟[1]
أحلامُه ومُناه تدعوه خلفَ الحوائلْ[2]

* * *

حنينُه رَفَّافْ إلى الدِّيارِ البعيدهْ
مَتى مَتى يا ضِفافْ تأوِي خُطاه الشريدهْ؟

* * *

رُؤاكِ في ناظِرَيهْ تَرِفُّ كالأحلامْ
تُرى هَفَوْتِ إليه على مَدَى الأيامْ؟

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١- المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢- الحوائل: الموانع

ليلاتُـك السَّـاريات كالنَّسْـمَة العبقريّـهْ
حالـتْ إلى ذكريـاتْ مُعَطَّـراتٍ نَديّـهْ

* * *

مُجَنَّحَـات العبـيْ مُرَفْرَفَـاتِ الأمَـاني
في عَـالمٍ مسـحورْ مُوسـع بالأغَانـي

* * *

هُنالـك حيـثُ خُطـاهْ مَنشـورةٌ في الطريـقْ
مـا زَالَ فيهـا الحيـاةْ تَدْعُـو دُعـاءَ الغريـقْ!

* * *

يـا أرضُ رُدّي إليـكِ هـذا الوحيـدَ الغريـبْ
هَـواهُ وقـفٌ عليـك رُدّي فتـاكِ الحبيـبْ

ابتسامة*

أنِرْ بِفـؤادي كلَّ أسْـوانَ مُظْلِم ببَسْـمَةِ رَاضٍ في الحيـاةَ مُنَعَّم[1]
وصَوِّرْ بِهـا الآمالَ: إنِّـي رأيتُها تطيـفُ بريَّـا ثَغـرِكَ المُتَبَسِّـمْ
وطالـعْ بِها وَجْـهَ الحيـاةِ نَديَّةً تَمسُّ حَشاشـاتِ القلوبِ بِبَلْسَم
وتَسْري إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً يفيضُ عليها من رِضـاءٍ وأنْعُم[2]
فَدَيْتُـكَ لا تَألُ الحياةَ ابتسـامةً أرقَّ وأحـنى مِنْ خيـالٍ مُهَوِّم[3]
مُرنّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَـةً وتَخْطُـرُ في رِفْـقٍ بذيالـكِ الفَمِ!
فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غِبْطَةً تُشَـافِهُهُ هَمْسَ الرَّجَـاءِ المُتَمْتِم
وتدركُهـا الأرْواحُ في خَطَراتِهـا كما تدركُ الأسمـاعُ هَمْسَ التَرَنُّم
فديتُـكَ لا تـألُ الحياةَ تَبَسُّـماً فإنـكَ لم تُخْلَـقْ لِغَـيرِ التَّبَسُّـم
وقتكَ الليالي العابسـاتُ عُبوسَها إذَنْ فَتَبَسَّـمْ كيفما شِـئْتَ وَانْعَم

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠
١- أسوان: حزين.
٢- مهوماً: في أوّل النوم.
٣- لا تبخل، لا تقصّر

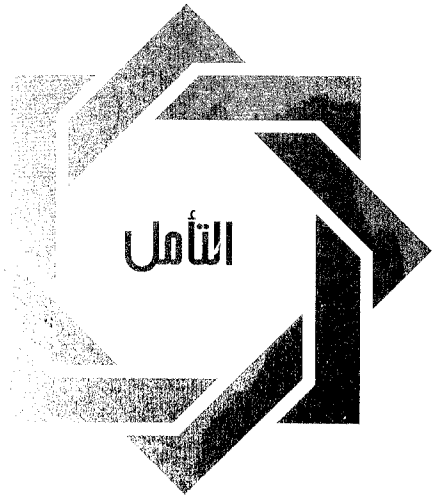

إلى الشاطىء المجهولِ والعَالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة، إلى الضفة الأُخْرى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرَا

بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْـــمَةٌ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقـــاءٌ ذاكَ أمْ رَجْـــعُ العُمُـــرْ؟
نَفْحَـــةٌ تَنْفُثُها[٤٢] تلك الشِّـــفاه تبعـــثُ المَيْـــتَ وتُحيي مـــا انْدَثَرْ

* * *

بَسْـــمَةٌ كاللحـــن مِـــنْ قِيثارَةٍ رائـــقِ المعـــنى رَقيـــقِ النَغَمَـــاتْ
أو شَـــذى يَـــأْرَجُ مِنْ نَـــوَّارَةٍ في غُصـــونِ الوردِ زَاكِـــي النَّفَحَاتْ

* * *

بَسْـــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليم من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ(١)
بَسْـــمَةٌ تُشْـــرِقُ في الوجهِ الكريم كابتسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ(٢)

* * *

نَظَـــرِ الدهـــرُ إليهـــا فابتَسَـــم وســـرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَديبْ
سَـــريان البُـــرْءِ هَوْناً في السَّـــقم ودبيبُ الرُّوح في الميْتِ السَّـــليبْ

* * *

ذلـــك القلـــبُ وقد جـــفّ نَدَاه وغـــدَا أجـــوفَ كالنبتِ الهَشِـــيمْ
وخَبَـــا في أفقِـــه ضـــوءُ الحَيـــاة وبَـــدَا كالمعبـــدِ البَالِـــي القـــديمْ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩
١- الكليم : المجروح
٢- الخضل: من خَضل يخَضلُ: نَدى وابتلَ.

ذلك القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنَّ وأحسَّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنُّ في ثَنايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتفتْ رُوحي وحَيَّاه فُؤادي في هدوءٍ شاملٍ ضافٍ حَنُونْ
وتزودتُ من الحبِّ بزادٍ ومِنَ الإخلاصِ تُبديه العيونْ

* * *

إنَّ عَينيه إذا تَرنُو إلَيَّ تسكب الرَّوْحَ بقلبي والرَّجاءْ
وهو إذ يحْنُو بعِطْفَيه عَليّ يَغْمُرُ النفسَ بفيضٍ من رِضاءْ

* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمُو فوقَ ما يُدْرِكُ هذا البَشَرْ
وبها آياتُ عَطْفٍ وحُنُوٍّ لستُ أدْريها ولكنْ أشْعُرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء؟ أتُرى في الشَّوْكِ قد تَحيا الوُرودْ؟
بحَياتي وأَمَاني الوِضَاء عَهْدُنا الغابرُ لو كانَ يَعُودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يا قلبُ فاهدَأ هكذَا أبداً وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْتَ سُلْوانا
فجمةُ الحبِّ قد تخبُو ويعقُبُها بَردُ السُّلُو وتَنْسَى كلّ ما كانا
فلا جَفاءٌ ولا شَكْوى تُردِّدُهَا ولا دَلالَ وَلا وَجْداً وَتَحْنَانَا
تُمْسي وتُصْبِحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ ثَبْتَ الجَنَانِ مُريحَ البالِ طَمْآنا
نَعَمْ سَتعْدِمُ حِسّاً رقّ جَانبُه ودَقّ في عالمِ الإحساسِ ميزَانَا
ومَا يُضيرُك من فُقْدانِ رِقّته إذَا فَقَدْتَ بها بُؤساً وأشْجَانا
وما الحياةُ إذا رَقّ الشعورُ سوى بؤسٍ يَجْرَعُهُ الإنسانُ غَصّانا

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما تَلُوحُ للناسِ والأكوانِ أكْوانَا !
وتُبصِرُ الحبَّ شيئاً أنْتَ تَعْرِفُه وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !
خلعتَ ثوباً عليه أنتَ وَاهبُه لولاه مَالاَحَ في الأنْظارِ فَتّانا !

* * *

فخَلِّ يا قلبُ آمالاً تجيشُ بها فقد تغْررك الآمالُ أحيانَا
هذا الهدوءُ تُنَمّيه وتَألَفُه فيستحيلُ مع الأيامِ نِسْيانَا

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إيــه يــا دُنيا ومــا أَنْتِ سِــوى عبــثِ الأطفــالِ فيمَــا يلعبُون
ضَجَّــةٌ صاخِبــةٌ لا تحتــوِي غــيرَ أَصْــدَاءٍ قَويــاتِ الرَّنــيْن
فــإذا فَتَّشْــتَ عــن مَبعثِهــا لم تجدْ شــيئاً تُخْبِيــه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَــبٌ خَفْقُــكَ يــا قلــبي في هــذه الأضلعِ من بعــدِ الخُفُوتْ!
أَوَمــا زلــتَ إذنْ لم تَشْــتَفِ مِنْ حنــينٍ فيك حَــيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أوَ مَــازالَ إذنْ نبــعُ الحيــاة لم يَغِــضْ فيك ولم ينضــبْ مَعينُهْ
رُبَّمــا فَــاضَ على تلــك الفلاة في فؤادٍ مُقْفِــرٍ جَفَّــتْ غُصُونُهْ!

* * *

طــالَ عَهــدى أيُّها القلــبُ به ذلــك الخفــقُ الــذي ذَكّرتَنيــه
ذلــك الخَفْــقُ الــذي لا ينتَهى حيث يَســرِى الشّــعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كــم ربيــعٍ مَــرَّ يتلُــوه ربيعٌ وفــؤادِي في خريــفٍ راكــدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ في حيــاةٍ ذاتِ نَمَــطٍ واحــدِ

* * *

وحُرِمْــتُ الحِسَّ ، حــتى بالألَمْ والنَّــدى حتى بتســكابِ الدُّموعِ
إيه . مــا أقفرَ إحســاسَ العَدَم والأمانــي راكــداتٌ في القَنُــوع

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبــضِ القَويّ وتَفَتــحْ كلَّ يــومٍ عَــن جديــدِ
لَم يَــزَلْ في جَعْبَةِ الكَــوْنِ الغَنِيّ مَــا يُغَذّيــكَ بأحــلامِ الوُجُــودِ

* * *

وإذا لَم تســتطعْ فاخلــقْ حَيَاه! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِي
ومن الحبّ، وما صاغــتْ يَدَاه مــن جحيــمٍ يتلظَّــى أو جِنَــانِ

* * *

البعث *

قد بُعثتُ اليومَ أحْيا مِنْ جَديدٍ فهو بَعْثٌ من حياةٍ خَامِدَةْ
مَرَّ نِصْفُ العُمرِ أو كادَ يزيدُ لهفَ نفسي – في حياةٍ رَاكِدَةْ
في حياةٍ لم أجِدْ فيها حَيَاه!
بَلَغَ العُقْمُ بها أقْصَى مَدَاه
وتبدَّتْ بَلقعاً مثلَ الفَلاه[1]
ثم لاحَتْ تَتَراءى مِنْ بَعيدٍ شُعلةٌ مِن نارِ حُبٍّ وَاقِدَةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْتوحي القصيدْ والأناشيدَ العِذابَ الخالِدَةْ
شاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ مُلْهَمَ الفِطْرةِ منهُومَ النَّظَرْ[2]
نابضٌ بالعطفِ حَسَّاسُ الضميرِ يُدركُ الهَمْسَةَ تَسْرِي في حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضيّاءْ؟
هكذَا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ في ربيعِ العُمْرِ في العهدِ النَّضِرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضِي الحسيرِ رَجْعَةً من بعدِ ما جَاء وَمَرْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢
١- بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع
٢- منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ! نابضاً بالحُبِّ جَيَّاشَ الأمانِي
مُمْسِكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ مُستعزّاً فيه حتى بالثوانِي![1]
ظَافِراً أمرحُ فيه كالطيورْ
حينما تشدُو بألحانِ البكورْ
بعدما تَنْفحُها ريحُ الزهورْ
نصفُ عُمْري قَدْ تولّى في اكْتئابِ فلأقضِ النصفَ نشوانَ الأغانِي!
هائماً ألْهو بمعسولِ الرّغَابِ أو أُغنّي بالأمانِيِّ الحِسَانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الغابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُـعاعٌ بينمـا أخبِـطُ في داجـي الظَّلامِ
في صحارى اليأسِ أسْري في ارتياع حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ[1]
حيثُ يَسْري الهولُ فيها واجما
ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا
والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما
وترى الأشـباحَ في رأسِ التِّلاع كالسِّعَالي، أو كأشـباحِ الحِمامِ[2]
فاغـراتٍ تَتشـهى الابتـلاعَ تنهشُ اللَّحم؛ وتَفْـري في العِظَامِ

* * *

فَتلفـتُّ علـى الضـوءِ يَلُوحُ مِثْلَمـا تَلْمَـحُ عـينُ السَّـاهِرِ
أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ أو كمعـنى شَـاردٍ في الخاطـرِ
قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ
شَفَّه الذُّعْرُ وأضناه العِثَارْ[3]
طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١-الرِّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرِّجام.
٢- السعالى : مفردها السِّعلى: الغول.
٣- شفه: من شَفّ أي نحل ودقّ من همٍّ أو مرض ويقال : شَفّه الحبُّ أو الهمُّ.

ثُم أزمعـتُ إلى الأفُـق الصَّبُوحِ أرتجـي فيـه أمـانَ الحائـرِ
أصعَدُ الرابيَ وأهوَى في السُّفوحِ وكأني طيـفُ جـن نَافـر
ثُم مـاذا؟ ثم قَـدْ سَـاد الحَلَكْ فَجْـأةً والقَبَـسُ الهـادي خَبَـا
ثم أحسسـتُ بدقـاتِ الفَلَـكْ لاَهثـاتٍ، تَتراخَـى تَعبَـا
رجفةُ الخائف أَضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الظّلاءْ[1]
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ
وإذا قلـبي خَفُـوقٌ مُنْتَهَـكْ ليـس يَـدري لخـلاصٍ سَـبَبَا
حولَـه الظُّلْمـةُ في أيِّ سَـلَكَ حيـثُ ينسـى الهاربُـون الهَربَا!

* * *

قلتُ ماذا؟ قال لي: رَجْعُ الصَّدى إيه مـاذا؟ قلـتُ للوهـمِ عَلامَا؟!
قال لي اخشعْ أنْت في وادي الرَّدى حيث يَطْوِي الضَّوءَ طُرًّا والظَلامَا!
ها هنـا تُثوي الأمـاني؛ هَا هُنا
فَي مَهاوِي اليأسِ في كَهْفِ الفَنَا
كل شـيءٍ هالـكٌ، حـتى أنَا!
ثم ضَـاعَ الصوتُ يَفْنَـى بَدَدَا وتَلاشَـى تـاركاً منـه النَمامَـا
وإذا بـي عُدْتُ أسْـرِى مُفْرداً لا أرى شـيئاً، ولا أدْرِي إلامَـا!

١- الظّلاء: مفردها الظّلا، والطلا: ولد الظبية
٢- طُرًّا: جميعاً
٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء *

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[1] - كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنا في ذلك القفرِ هُنا مَا بَرحنا منذ حين شَاخِصَاتْ؟
كلُّ شيءٍ صامتٌ من حَوْلنا وأرانا نحن أيضاً صَامتاتْ!؟
تطلُعُ الشمسُ علينا وتغيبْ
ويطلُّ الليلُ كالشيخ الكئيبْ
والنجومُ الزُّهْرُ تغدُوَ وتَثُوبْ
وهجيرٌ وأصيلٌ... وطلوعٌ وأفولُ... ثم نَبقَى في ذهولٍ ساهمات!

* * *

أفلا تدرينَ يا أُخْتي الكبيرةُ ما الذي أطْلَعَنا بينَ اليبابْ؟
أيَما إثْمٍ جنيْنا أو جريرةٍ سَلَكَتْنا في تجاويفِ العذابْ؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ
لَبَثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديل... أوان؟
حدثيني لِم نَشْقَى؟ حدثيني كم سَنَلْقَى؟ حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:

أنا يا أُختاه: لا أدري الجوابَ ودَفينُ السِّرِ لم يُكْشَفْ لَنا
منذ ما أطلعتُ في هذا الخرابِ وأنا أسألُ: ما شَأني هُنا؟
فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكُونْ!
وأنا أخبط في وادي الظنونْ
لستُ أدري حِكْمةَ الدَّهرِ الضنينْ[1]
غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبَّما كُنّا أسيراتِ القَدَرِ تَسْخَرُ الأيامُ منّا واللّيالي!
تَضرِبُ الأمثالُ فينا والعِبَرَ وإذا نشكُو أذَاها لا تُبالي!
رُبما كُنا مَساحِيرَ الزَمنْ!
قد مُسِخْنا هكذا بين القُنَنْ[2]
في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!
فإذا كان يعود... فكّ هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح
٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانا نَسْلَ أربابٍ قُدَامى قد جَفَاها وتَولّى العابدُون!

جَفَّتْ الكأسُ لديها، والنَّدامى غادروا ندوتَها تَنْعي القرُون

أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!

صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!

وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!

فبقينا في العَراءِ.. يجتوينا كلُّ راءٍ.. وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لستُ أدري، كلُّ شيءٍ قد يكونُ فَتَلقّي كلَّ شيءٍ في سُكُونْ

وإذا ما غَالنا غُولُ المَنونِ فهنا يَغْمُرُنا فيضُ اليقينْ!

* * *

ثم سَادَ الصمتُ كالطيفِ الحزينْ

وتَسَمَّعْتُ لأقدامِ السنينْ

وهي تَخْطُو خَطْوةَ الشيخِ الرزينْ

هامساتٍ في الرمالِ مُنشِداتٍ في جلالِ كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال*

يا ذكْرَياتي البعيدةَ

يا أُمنياتي الشَّريدةَ

إلىّ قبلَ الصباحِ

إلىّ مِنْ كلِّ صوبِ

فَهينمي حولَ قلبي

فانت وَحْيي وزَادِي

غَفلْتِ يا ذِكْرياتي

بين اصطخابِ الحياةِ

وكلِّ جَأرٍ قويٍّ![2]

سهوتِ يا أُمنياتي

إلى مَراقي الحياةِ

بحاضرٍ مَأتيّ

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتي البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قَبلَ الصَّباحِ
الليلُ أرْخَى سُتُورَه في هُدْأةٍ كالخُلودِ
والبدرُ أَرْسَلَ نورَه كبَسْمَةٍ من وَليدِ
راضي المُحيَّا سعيدِ
وخَفَقَ الكونُ خفقاً قد ضَرَّمتْهُ الليالي
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً بذكرياتي الخَوالي
وأمنياتي الغَوالي
وجدتُ نَفْسي وكانتْ ضَاعَتْ ضَياعَ الإياسِ
ورُضْتُ نَفْسي فَلانتْ من بَعْدِ طولِ الشّماسِ
وبعدِ صعبِ المِراسِ
ورفرفتْ ذكرياتٌ أثَرنَ قَلْبي حنينَا
ونضَّرَتْ أمنياتٌ ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا
فيالصنعِ السنينَا
يا ذكرياتي البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قبلَ الصباحِ
فالفجُر في الكونِ لاَحَ
والصبحُ يُذْكي الصياحَ
فأقبِلي في انفرادي ورفرِفي في فؤادي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[1]
ويُشْرِقُ وجهُ الصبُّحِ في غمرةِ الدُّجَى كما تشرقُ الآمالُ واليأسُ غامِرُ
وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرى وتخفقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَاعِرُ
وحينَ يعجُّ الكونُ بالصوتِ والصّدى وبالكدحِ تُزجيه المُنى والمخاطرُ
وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي يَضجُّ بها الأحياءُ، والدّهرُ سَاخِرُ

* * *

ولكنّه لم يُلْفِ بالكونِ نَأمَةً تَنمُّ على حيٍّ، ولم يَهْفُ خَاطِرُ
ففي نفسِه ما يُشبه الموتَ سَكْرَةً ومن حولِه موتٌ نَمتْه المقابرُ
جَلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَعَ وَجهَه عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ
وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ
فأدركَ في أعماقِه عَن بَديهةٍ نهايةَ ما صَارتْ إليه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيبِ عن أيِّ صاحبٍ ففي نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ
ولكنه أَلْقَى بها عَبْرَ نظرةٍ على الكونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدّيجور: الظلام والجمع : دياجر

٢- عَجَّ يعجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشلاءٌ وأطلالُ نعمةٍ وبؤسٌ، وشتى ما حوته الأداهرُ
وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرَّةٍ فهاتيك أشلاءٌ وهذي خواطرُ
تجمَّعَ فيها ما تفرَّقَ في الورَى وما ضَمنَتْ تلك السِّنونُ الغوابرُ
خلاصةُ أعمارٍ وشتى تجاربٍ ومجمعُ أشواقٍ بها الكونُ حَائرُ

* * *

وأوغَل في إطْراقةٍ ملْؤُها الأسى فمرّت عليه الذكرياتُ العَوابرُ
تَحتُّ خُطَاها مَوْكباً إثرَ مَوْكبٍ وقد جاورتْ فيها المآسي البَشائرُ
وأقبلتْ الآمالُ واليأسُ حَولها تُمزّقُها أنيابُه والأظَافرُ
وجمّع فيها الخيرَ والشرَّ رابطٌ من النفسِ مشدودٌ إليها مُخَامِرُ[٢]
وشتى عباداتٍ وشتى عقائدٍ يُؤلّفُها الإيمانُ وهي نَوافرُ
وفيها من المجهولِ سرٌّ وروعةٌ ورغبةُ محرومٍ وخوفٌ مُساورٌ
وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ تُحَجّبُه عن طالبيه السَّتائرُ
فياليته يَدْرِى بما خَلْف سِتْرِه فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافرُ![١]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.
٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته.
٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَى، وأذْكاه الخيالُ المغامرُ
لعل وراءَ الكونِ مفْتَاحُ لُغْزِه وطلْسم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائرُ
وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجسم والجسمُ جَائرُ
ولولا مواثيقُ الحياةِ تُشدُّه إليها لأمضى عَزْمَهُ وهو صَابر.
وخلَّف هذا الجسمَ للموتِ والبلى وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ
وعَاودَه حبُّ الحياةِ لذاتها وقد أجْفَلتْ تلك النَوازى الكوافرُ
وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكها له وحدَه والناسُ مَيْتٌ وداثرُ
فعادَ إلى الدُّنيا العريضةِ مالكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشاطرُ!
ولكنّه لم يستطبْ مُلْكَه الذي تمحَّضَ لا يسعى به أو يغامرُ
وما فيه من كدٍّ ولا من تسابق ولا سابقٌ في الكادحين وقاصرُ
وكيفَ يطيبُ العيشُ إلا تزاحماً فيرْبَحَ مجدودٌ ؛ ويَخسر عَاثرُ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيلَ والكونُ سَادرُ
((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحشاً بَرِمْتُ بمُلكٍ رَبُّه فيه خاسر))
((فهيا إذنْ للموتِ أَرْوحُ رِحلةٍ لتُكْشَفَ أَسْتَارٌ ويَهدَأ ثَائرُ))

***

وفيما يُعاني سَكْرةَ الموتِ هَينَمَتْ[٢٧] إلى مَسْمَعيه هاتفاتٌ سواحرُ
((هو السّرُ أن تَهفو إلى السّرِ لهفةٌ وأن تَشْتَرُوا الآتي بما هُو حَاضرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[1]
هواتفُ قد حُجّبْنَ؛ يَسـرين خِفْيةً هوامسُ لَم يكشِـفنَ في لحظةٍ سِتْرا
ويَعْمُرنَ من نفسي المجاهلَ والدُّجَى ويُجَنّبْنَ من نفسـي المعالمَ والجَهْرا
وفيهن مَنْ يُوحـين للنفسِ بالرّضا وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُّخْطَ والنَكْرا
ومن بينِ هَاتيـك الهواتف مَا اسمُه حنينٌ. ومِنهُنَّ التشوقُ والذّكْرى!
أَهَبْنَ بنفسـي في خُفـوتٍ ورَوعَةٍ وسِرنَ بهمسٍ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى
سَـواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى من الأمـرِ إلا ما أردنَ لهـا أمرا!
إلى الشاطئِ المجهولِ، والعَالَمِ الذي حَننـتُ لمرآه؛ إلى الضّفةِ الأخرى
إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تَرى معـالَمَ للأزمانِ والكَوْنِ تُسْـتَقْرا.
إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه! إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدّهرا
وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلَّ) واحدٌ وتَمْـزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرَا
فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ) ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرى
فليـس هُنا(غيرُ) وليـس هنا (أنا) هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احْتجبتْ سِراً

***

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خَلَعتُ قيودِي؛ وانطلقتُ مُحَلّقاً وبي نشوة الجبارِ يَسـتلهِمُ الظَّفرَا
أُهـوّم في هذا الخلـودِ و أرتقي وأَسْلُك في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى
وأكشـفُ فيـه عَالماً بعـدَ عالمٍ عجائـبَ مازالـتْ ممنّعـةً بِكْرَا
لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه حقائقَ جلّتْ عن حقائقنا الصُّغْرى
هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا! فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسّـحْرَا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغرب الشمس، وقبل طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام ؛ أرقَ في الهزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنْح الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتٍ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئيات .

وقد عاد صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرَّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

* نشرت في ١٩٣٤.

مَن الطارقُ السَّاري خلالَ المقابرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجَنّاتِ عَابُر[1]؟
من الوجلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجَى تقلّبُــه الأوهــامُ في كلِّ خَاطــرِ؟
ينقّــلُ في تلك الدياجــيرِ خَطْوه ويخطــرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ؟
وقد سَــكَنَتْ مِنْ حَولِه كلُّ نَأمَةٍ ســوى قلبه الخفاقِ بينَ الدَّياجر؟
وغَشَّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ تَغْشَــى، فيعنُو كَلُّ نكْسٍ وَقَادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقّ والهُدى وللســرِّ لم يَكْشــفْه ضَوءٌ لناظر!
تحيَّر في ســرِّ الحياةِ ومــا اهتدى إليه، ولَــم يَقْنَعْ بتلــكَ الظّواهرِ
وسَاءلَ عنه الكونَ والكونُ حائرٌ يســيرُ كَمعْصُوبٍ بأيدي المقادرِ!
وسَاءَل عنه الموتَ، والموتُ سَادرٌ وسَاءَل عنه الشّعَر في حَنَقٍ ثائرِ![2]
وسَاءَل عنه كلَّ شــيءٍ، فلم يَفُزْ بشــيءٍ ولم يرجعْ بِصَفَقَــةِ ظَافرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طْلَسَــمُ سرِّه لعلّ! فمــن يَدْري بســرِّ المقابرِ؟
ألم يخلــعْ الموتــى الأحابيل كلَّها؟ أحابيــلَ أوهامِ الحيــاةِ الجَوائرِ![3]
ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها؟ ويستوثقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة
٢- سادر : غير مبال بشيء.
٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى إليهـا؟، ألا تُهدي اليقـينَ لحائرِ؟
أجلْ! رُبَّما تُعْطي الجوابَ لسـائلٍ ورُبَّمـا تجلُـو المصـيرَ لشـاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه تَسـمَّع هَمْسـاً من خلالِ الحَفائرِ
«مَنِ الطارقُ السَّاري خلالَ المقابرِ فَأقلـقَ منَّا كلَّ غافٍ وسَـاهرِ»؟
«أما يَقْنَـعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه؟ أيَا ويحَ للأحيـاءِ صَرْعَى المَظاهرِ»
«تركْنا لهـم دُنْياهُمـو وديارَهم ولم يَدْعُونـا في حِمى غـيرِ عَامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَـةِ إشـفاقٍ، ونَبْرةِ سَـاخرِ!
«لعلّ الذي قَدْ دَبَّ في ذَلك الحِمى وأيقـظَ في أحْشَـائه كلَّ سَـادرِ»
أخُو صَبْوةٍ، يهفُـو إلى قبرِ مَيِّتٍ لَـهُ عنده وَجْـدٌ وتَحنـانُ ذَاكرِ»
«يقرِّبُـه منها التَّذَكُّـرُ والهوى وتُبْعِـدُه عنهـا غِلاظُ السَّـتائرِ»
«ومَا أخْدعَ الحبَّ الذي في ديارِهم! يُغَشِّـي عَلى أبصارِهـم والبَصائرِ»
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفي صوتِها أسـىً وَنَبْـرةُ تَحنـانٍ، وكِتْمـانُ صَابرِ
«ألا رُبَّما كانـتْ ثُكُولاً حَزِينةً على فَلْـذةٍ مِـنْ قَلبهـا المُتناثرِ»
«ورُبَّما كانتْ عَجُـوراً تَأيَّمَتْ وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضبِ العَونِ غَادرِ»

* * *

وقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهم كلَّ مَذْهبٍ وفيما حَوَتْه نَفْسُـه مِنْ مَشـاعرِ!
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يدْوِي كأنّما هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظَاهرِ
«مَنِ الطارقُ السَّاري خلالَ المقابرِ فأقلقَ منَّـا كلَّ غافٍ وسَـاهرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياءِ؛ والقلبُ خافقٌ مِنَ الوَجَلِ الأخَّاذِ، في صَوْتٍ حاسرِ
«أنـا الحيُّ لَمَّا يدرِ أسـبابَ خَلْقِه أنا المُدْلِجُ الحيرانُ بـينَ الخواطرِ»
دلفـتُ إلى وادي المَنايَـا لَعلَّني أفـوزُ بسـرٍّ في حَنَايـاه غَائـرِ؟
أمـا تَعلَمُون السِّـر في خَلقِ عَالمٍ يموتُ ويَحيَـا بينَ حـينٍ وآخرِ؟
وَتكْنُفُـهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ ويركبُ للغاياتِ شَـتى المَخاطرِ؟
وليـس لَـه من غايـةٍ غـيرَ أنَّهُ مَسُـوقٌ إلى تحقيـقِ رَغْبَـةِ قَاهرِ!
ضنينٌ بمـا يَبغيـه ليـس يُبيحُه لسـائله عَمَّـا وراءَ الظَّواهـرِ
ومـاذا لقيتم بعد ما قَـدْ خَلَعْتُمو قيـودَ الليالي الخادعـاتِ المَواكرِ؟
وماذا وراءَ الغيبِ؛ والغيبُ مُطْبَقٌ؟ وهَـلْ يتجلَّـى مـرةً للنواظـرِ؟
سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه وحيرتُـه، بينَ الشـكوكِ الكَوافرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنَّ الهـولَ صوّرَ منظراً تُجلِّلُـه الأخطـارُ جَـدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَـادَ الصمتُ بين الحفائرِ ورَانَ علـى أرواحِهـم والضَّمائرِ
وأذْهَـلَ هَاتيك النفوسَ فخفَّضَتْ من البَهْـرِ[٩٢] والإعياءِ دقَّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوي كأنّه يُحَـدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِـيِّ المَعَابِرِ!
أيـا وَيْلهـا تلك الحيـاةَ وأهلهَا تُكَشِّـفُ عن بلوائها كلَّ سَـاتِرِ!
وتطلبُ أسـبابَ الشَّقاء لنفسها! فتضربُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضِرِ!
لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنَا وهَـدَأ في أفكارنـا كلُّ نَافـرِ
نسـينا سـؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ يـردِّدُهُ حـيرانَ في حَـزَرٍ حَازِرِ
نسـيناه فارتحْنا مـن الحَيْرةِ التي خَسِـرْنا بها الأعمارَ جَـدَّ نواضرِ
وها أنـت ذا تُذْكيه. يا لك جائراً ويـا لكَ مخدوعـاً بسـرِّ المَقَابرِ!
وهـا نَحن وَدَّعنا هـدوءاً وهينةً شـريناهما بالعُمرِ، يا للخسـائرِ!
أريْتَ لو أنَّ الهـولَ صَوَّرَ مَنظراً تجلُلُـه الأخطـارُ جَـدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَـادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ ورانَ علـى أرواحِهـم والضمائرِ
وأذهَلَ هَاتيك النفوسَ فخفضتْ من البهـرِ والإعياء دَقـاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحسـرةٍ ولهفـةِ محـرومٍ، وإعيـاءِ خَائـرِ
لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ يُعلله بالكشـفِ عـن كلِّ ضَامرِ
فألفى سَـراباً ثمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدَى فـوا ندمـاً عـن بحثـه المُتواترِ!
فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْـفَ السَّتائرِ
ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطوهُ فيَطْـوِي حَيا عُمرهِ رِبْحَ خَاسِـرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَرْمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكنُ إليها، وودَّ لو أنَ الأقدار وهبته ماضياً سعيداً؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفةٍ واشتياقٍ إليه.

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب بكل مصابٍ فادحِ العِبْءِ صَائبِ![1]
وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ تُمِلُّ، ويَا بِئْسَ الأسى من مُصَاحِبِ!
وودّ لـو أنَّ الدهرَ يُعْفيـه بُرهةً من الغابـرِ المملولِ جَـمِّ النَّوائبِ
فأصْغَتْ لـه الأقـدارُ في أُمْنياته علـى أنهـا لم تُصْغِ يومـاً لطالبِ
وأعْفَتْـه مـن ماضيه حـتى كأنّه وليدٌ خَلِيُّ القلـبِ من كلِّ نَائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّـنينَ الغَوارِبِ ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ[2]
وعَـادَ طليقـاً لا يُعـوِّقُ خَطْوَه مَرَّاسٌ؛ ولا يَثْنيـه خَوفُ العَواقبِ

* نشرت: ١٩٣٤
١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.
٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو أمّحى وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغائبِ

وآضَ وليدُ اليومِ في مَيْعةِ الصِّبا جديداً بدنياه؛ جديدَ المطالبِ[1]

بعيداً عن الماضي الذي آدَهُ الأسى وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ[2]

* * *

ولكنّه ألْفَاه أسْوَانَ مُوحشاً كما أُفْرِدَ الإنْسِيُّ من كلِّ صَاحبِ

وألفَاه في هذي الحياةِ كأنّه غريبُ عَرا، في عَالمٍ منْ غَرائبِ[3]

وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا إلى الأوجِ لم يُسْعِفْه عزمُ المُغَالبِ

وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ لَه من ركيزةٍ تَضَاعَفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثبِ

وقَدْ أبْصَرَ الآمَالَ عَرْجَاء لم تجدْ لها سَنَداً من ذِكْرَياتٍ ذَواهبِ

فعادَ إلى الأقدارِ يشكُو صَنيعَها ويُوسِعُها في شَكْوه عَتْبَ عَاتبِ!

أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً له – عوضاً من غابرٍ منه خَائبِ

بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى! فيحيا علَى رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ لَه الأقْدارُ في أُمنياته على أنّها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ!

وأعطتْه أنْقى صفحةٍ في كِتَابها لأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأ رَاغبِ!

* * *

١- آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله

٣- آداه: قوّاه وأعانه

٣- عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنه ألفاه لم يغدُ مالكاً لِما مَنَحَتْه مِنْ عَزيزِ المَواهبِ

وألفاه لم يكْشِفْ خَبيئةَ نفسه لذياك الماضي الذي لَمْ يُصَاحبِ!

وأبْصَرَ بالآمالِ حَيرى كأنما تَساءَلُ عن دَاعٍ لها جَدَّ دَائبِ

دَعَاهَا فلمَّا أقْبلتَ من سَمائها رأتْ غيرَه في غَفْلةٍ غيرَ رَاقبِ[1]

وما الأملُ «البسَّامُ» إلاّ رغيبةٌ لنفسٍ ترى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضبِ»

* * *

فَعَادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُبُ عَوْنَها عَلى رَجْعِ مَاضيه بِحَسْرَةِ تَائبِ!

أجَلْ عادَ مَلْهُوفاً لِمُرِّ التجاربِ وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغبِ[2]

أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ من النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ لَه الأقدارُ في أمنياته علَى أنّها لَم تُصْغِ يوماً لِطالبَ!

وعَادَ إلى دُنْياه مِنْ بَعْدِ غُربةٍ وألقتْ عَصَاها واستَقَرّتْ بآيبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.

٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.

٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي*

خبيئةَ نفسي؛ قد غفَا الكونُ فاسفري وكوني سَميري، بعد أنْ نامَ سُمَّري
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكَرَى وهوّم في جوفِ الدُّجَى رُوحُ خيِّرِ[1]
يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا ويغمرُ بالإغفاءِ رأسَ المفكرِ
وينتظمُ الدنيا هدوءاً كأنها عوالمُ في وادي المُنى لم تُصوَّرِ
فلا صوْتَ إلا خَفْقةٌ من جوانحٍ كما خفقتْ للضوءِ عينُ المُصوِّرِ
ولَمْ يَبْقَ من تلك الحياة وأهلها سوى طيفها السَّاري بوادي التَّذكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفسي من عهودٍ سحيقةٍ ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدي!
أُحسُّكِ في أغوارِ نفسي ولا أرَى مُحيَّاكِ إلا كالخيالِ المُشَرَّدِ
علمتُكِ حتى أنتِ منّي بُضْعةٌ جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْهدِ
ويا طَالما أخلفتِ لي كلَّ مَوْعدٍ ويا طالما ألقاكِ في غيرِ مَوْعدِ!
عجبتُ فكَمْ مِنْ نفرةٍ تَنْفُرينها على فَرْطِ ما تُبْدينه من تَودُّدِ!
حديثُكِ من نفسي قريبٌ؛ وإنما إخالُكِ في وادٍ من التِّيه سَرْمَدِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفسي، ما تُرى أنتِ؟ إنني أريدُكِ في جوٍّ من الضوءِ مَعلَمِ
أعنصرُكِ الإيمانِ والطُّهرُ أصلُه وإلا إلى الكفرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ؟
وفي أيِ وادٍ أنْتِ تسرين خِلْسَةً؟ ومن أيِ عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهمِ؟
وكم فيكِ من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ تَجاوزتَا في حَشْدِكِ المتزَحِّمِ
وكم فيكِ من يأسٍ؛ وكم فيكِ مَأملٌ وكم من تَردٍّ، أو وثوبٍ تَقَحُّمِ
وكم فيكِ من حُبٍّ، وكم فيكِ بغضةٌ ومِنْ رُشْدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلِمِ

* * *

خبيئةَ نفسي في ثناياكِ مَعْرِضٌ لما لَقِيَتْهُ الأرضُ في الجَوَلاَنِ
وفيكِ من الآبادِ سرٌّ وروعةٌ وفيكِ صراعاتٌ بكلِّ زمانِ[1]
وفيكِ الْتقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِه وفيكِ الْتَقَى الرُّوحيُّ والحَيواني
وإنكِ طَلْسَمُ الحياةِ جميعها وصورتُها الصُّغرى بكلِّ مكانِ[2]
أبيني إذنْ عن ذلكِ العالمِ الذي تضمَّنتهِ من صُورةٍ ومَعَانِ
أبيني أُطَالِعْ في ثناياكِ مَا مَضَى وما هُو آتٍ مِنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١- الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .
٢- الطّلسَمُ: السرُّ الغامض.

الغطيئة*

مِنْ خِـلال الظَّلماءِ في بَهْمَةِ اللَّيلِ تَمَشَّـتْ كالحيَّـةِ الرَّقْطـاءِ
تُوقظُ الجِسْـمَ والغزيرةَ بالْهَمْسِ وتَطغـى علـى الحِجَا والـذكاءِ
وَهْيَ من خشـيةِ الضَّميرِ تَوارَى في زَوايـا الميـولِ والأهـواءِ
فـإذا شَـعَّ مِنْ سَـنَاهُ شـعاعٌ أرْجَفَتْ منه، وانـزوتْ في التواءِ
وإذا خيَّـمَ الظَّـلامُ تـراءَتْ في احتـراسٍ مـن أعـينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظـةٌ تلـك ثم خَيَّـم صمتٌ وظَـلامٌ؛ فما تَـرَى مِـنْ ضِيَاءِ
فمضـتْ تُضـرِمُ الغريـزةَ ناراً وتُثـيرُ الشُّـواظَ بـين الدِّمـاءِ
البِدارِ البـدارِ يا أيها الْجِسْـ ـمُ شِفاءً من الطَّوى والظُّماءِ![1]

* * *

وتوارى (الإنسـان) حين تبدَّى (حيـوانٌ) ذو شِـرَّةٍ نَكْـرَاءِ
وإذا بالخطيئَـةِ السَّـوْءِ نَشْـوَى بانتصـارٍ، نالتْـهُ في الظَّلْمَـاءِ!

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥

١- البدار: الإسراع. الطّوى والظماء: الجوع والعَطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فَوَّارةٌ من جهنم تَسـيُل شَـظَاياها، وتنضَحُ بالدَّمِ
هو القيظُ قد فـازتْ ينابيعُ وَقْده وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ
وضَاقَ رُواقُ الظّل عنها وأرسلتْ من الشـمس أرسالٌ إلى كلّ مُبْهَمِ
فمالَ إلى الرّاعي الشّطوطِ قطيعُه يَبـثُّ رجـاءً في ثُغَـاءٍ مُتَمْتِـمِ
ونَاجَاه، ويحَ الظلّ إنْ نحن لم نَملْ إليـه، ويا بُؤْسَـاه سـعياً لِمَغْنَمِ!
عَيينا بِهذا الضَّـرْب في كلّ حَرَّةٍ وراءَ ذَمَاءٍ من شَـرابٍ ومَطْعَمِ[1]
وما أنتَ – لو تدري – برابحِ صَفْقَةٍ ولا نحـن؛ إنَّا كَلَّنَا ذلـك العَمِي!
نسـيرُ بصحراءِ الحياةِ، ولا نَرى سِـوى ظِلّنا، يَطْغَى على كلّ مَعْلَمِ
يُسَـخِّرُنا مَـنْ لا نـراه، لغايةٍ يَراهـا، ولم نُـؤذَنْ بهـا أو نُفَهَّمِ!
فيا أيُّهـا الرَّاعِي هـدوءًا وهَيْنَةً إلى الظـلّ نَرْتَعْ لحظـةً أو نُهوّمِ[2]
فمـالَ به الرَّاعي إلى ظـلّ دَوْحةٍ ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْولِ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١- الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماء: البقية.

٢- النهومُ: النوم الخفيف.

تَنَاهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللَّظى وثــابَ إليها الظِّــلُّ في غير مَعْجَلِ
وألْقَــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجسـمه وقد ضَافَه بالأيْنِ طــولُ التنقلِ[1]
وراغَ إلى المــاء القطيــعُ كأنمــا تَدَهْدَهَ جَرفٌ مــن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ
يَعُبُّ وَيستســقي بشــوقٍ ولهفةٍ ويُفْعَــمُ ريًّــا مــن مُعــلٍّ ومَنْهلِ
فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً وقد خلَّ في أعضائــه كلُّ مَفْصِلِ
فنامَ على الأعشابِ، مَا إنْ تُرى له رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ
توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ التقتْ مَدَاخلُه، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ[2]
كأنَّ شــاءَ ذياك القطيــعِ تَوَحُّداً فأغفــلَ ذاك الرأسَ رمــزَ التعقلِ
ويا طالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُــهم وما يَقتضيــه من طِمــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ وجالــتْ به الأحــلامُ كلَّ مَجالِ
لقــد هبطَ الــوادى فَألْقَــاه جنةً بمــا فيه مــن خَفْضٍ وهَــدْأةِ بَالِ
ومــاءٍ غزيرِ النبعِ سَلْسَــالِ مَنْهلٍ يَحُفُّ به عُشــبٌ وفيــضُ ظِلالِ
ألاَ إنــه هــذا النعيــمُ ، وإنمــا هي الجنــةُ الفَيْحاء خلــقُ خَيالِ!
وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ، يالَه من الخوفِ في هَــوْلٍ به وصيالِ[3]

١- الأين: الإعياء والتعب.
٢- الزَّرد: حلقُ الدّرع، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درع من حلق.
٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحــُش من كل فاتكٍ قــد اختلطــتْ أصواتُــه كعَوالِ
وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها زئيرُ أُســودٍ، أو فحيــحُ صِلالِ[1]
فهَــبَّ مَفيقــاً، يســتبين حياتَه ليوقــن أن لم تَصطــدم بوبــالِ
فألفى قطيعَ الشــاءِ يدعوُ فصيلَه إلى النّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ
وأطرقَ يستوحي الرُّؤىَ ويحها الرؤى إلى أين قد طافَتْ بــه غيرَ عَالِمِ؟
وأين مــن الوادى خُطَــاه؟ وإنها لَآ مأْلَ رَاجٍ أو خيــالاتُ حَالِمِ !
وأين هــو الغابُ الرَّعيــب؟ وإنّه ليهفُــو إلى مــاضٍ ســحيقِ المعالمِ
لأعيــاه تَاوِيُل الــرُّؤى ، غير أنّه يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســمِ
فمــال على (أرغوله) يَستَجيشُــه خواطــرَه بالذكريــاتِ الهوائــمِ
فرجَّــعَ أنغاماً من الغــابِ وِزْنُها وألحانُهــا نســمُ الريــاضِ الحَوالمِ
فأوزانُهــا ذكــرى، وألحانُها مُنىً كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعمِ
وقد رقَّتْ الآصالُ وانسلّتِ الصَّبا وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائمِ
فــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَــةٍ ولــذَّاتِ مَوهــوبٍ وآلامِ غَارِمِ
وغَشَّــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوَّ متْ ونامــتْ كطفلٍ في الغِــرارةِ هَائمِ

* * *

١- الصِّلّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصِّلال.

على القمة*

نظـرتُ إليها وهي شَـمَّاءُ تذهبُ كما لاَحَ في أفْق السموات كوكبُ
فأعجبـني منها السُّـموقُ وهَالَنى تَطاولُها والرّيح تَطغى وتَصخبُ[1]
وطـارَ خيـالي فوقَهـا ووراءَها يصـوّر مـن أطيافِهـا مـا تَغيّبُ
عجائـبُ لَم تَخْطر على البالِ مِثْلُها ودُنيا من الأحـلام تَزْهُو وتعجبُ
وقلت: سـعيدٌ من تطـاولَ كَفَّهُ ذَرَاها وتـدرى عينُه مـا تَحجبُ
دَلَفْتُ إليها، والخُطَا تَسْـبِق الخُطَا وفي النفس شَوقٌ يَسْتَحثُّ ويُلْهبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفُه وتَهفُـو رُؤاه مغْريـاتٌ وتَغْـرُبُ
هو الشـوقُ للرُّقيا وفي الحيّ حافزٌ إليهـا فيرقـى في الحيـاةِ ويَغلبُ
دَلفْـتُ فلم أنْظُـرْ إلى الخلفِ مرةً وهل ينظرُ العَجْلانُ مـاذا يُعَقّبُ؟
وما عاقني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُسْـرَةٍ وأنْسَـتْني الأشـواقُ أنّـي مُتْعَبُ
هنا القِمَّةُ الشَـمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا! ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مَأرَبُ
تأمَّلْتُهـا فرحـانَ أخفقُ نَشـوةً وأوشـكُ أُغْذي سَـنَاهَا وأشْرَبُ
وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْـرَفُ بُقْعةٍ وأرْحَب أفقٍ في السـماوات يَرقُبُ
وإنّـك مِن فـوقِ التـلالِ طَليقةٌ ولم يَبْـقَ مَسـتورٌ عليـك مُغَيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧
٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرّى هنـا يا نفسُ جَدُّ سـعيدةٍ فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»
وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطري وبي نَشْـوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُـبُ
فمـا رَاعَـني إلاّ الزمـانُ يُلُفُّني إلى الضِّفَّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ
إلى أيـنَ ؟ لاتَعجلْ رُويـدكَ هَيْنَةً فما هكذا تُطـوى الأمَاني وتَذْهبُ
وما هكذا يُجْـزَى الذي جَدَّ جَدُّه إلى القمة الشـمّاءِ، والقلبُ مُلْهَبُ
وخلّـفَ في ناءٍ من السَّـفْحِ زَادَه وما عَـزَّه في ذلك الوعـرِ مَرْكبُ
رويـدكَ يا هـذا الزمـانُ فإنني من الهوّةِ الجَرداءِ أخْشَـى وأرْهَبُ
وإن لا يكنْ بُدٌّ من السـير فانطلقْ إلى الخلـف إنّي عَاذِرٌ لـك مُعْتبُ
تَألّفْتُـه يومـاً فإنْ عُـدتُ لم أَعُدْ إلى غربـةٍ تحفُـو علـيّ وتَنْكُبُ
ولكنّـه لم يُصْـغِ لي في ضَرَاعتي ومـازال يَهْـوي بي ولا يَنْكُـبُ
إلى الهوةِ الجـرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ إلى الهـوةِ الجرداءِ فالدّهْـرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسسْتُ مَصْرَعَها بِنَفْسي بينَ التأوُّهِ والتأسّي
وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسّي
هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأَدْ لَوكْسِ[1]
جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآن ذاتِ رضاً وأُنْسِ
نضجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنىً بغَرْسِ
وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومسّ
فهممتُ أدعوها دعا ءَ الفَنّ في خطراتِ همسِ
شعراً يسّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ
وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخسِ!
يا ويل قُطّاف الجمال بغير ما وَرَعٍ وَنَطْسِ[2]
بَيْنَا نَحُومُ عليه في تَقْوى كما نَرْنُو لِقُدْسِ!

* * *

وإذا التي جَاشَتْ بِنَفْسي تُثَوّى مُضَرَّجَةً بِحِسّي!

* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالعِيني في كلّ يومٍ بِوَجْهٍ فلديكِ الوجوهُ شتّى طريفَهْ
وَافْجَئِيني لديك بالخَطْر المَحبو بِ يُجَدّدْ حياتَنا المَألُوفَهْ
بِتُّ أَشْتَاقُهُ وأرقُبُ مَاذَا يَحْمِلُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفَهْ!
كلّ سَمْتٍ أراكِ فيهِ جميل كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شَفيفَه
أنتِ ما أنتِ؟ عَالَمٌ مُترام أبْدَعَ الفنُّ والمُنَى تَأليفَهْ
أنتِ كُثْرٌ ففيكِ تَحْيَا طُيُوفٌ كلُّ طَيفٍ لَه رُؤاهُ المُطيفَهْ
تارَةً أنتِ حَرَّةٌ أصْطَليهَا وإذَا أنتِ كالرِّياضِ الوَريفَهْ
وَتَلُوحِينَ قِطْعَةً من حَنانٍ وَتَلُوحِينَ بَعْدَ حينٍ مُخيفَهْ!
وأرى فيكِ طِفْلَةً لم تبارحْ مَلْعَبَ الطِّفْلة. اللّعوبِ الخَفيفَهْ
وإذَا أنتِ قَهْرَمَانَةُ دَهْرٍ مُوْغِلٍ في المَسَارِبِ المَلْفُوفَهْ[1]
وإذا ما انْطويتِ أمسيتِ سِرًّا صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكماً تَغْليفَه
وإذَا ما انطلَقْتِ مثلَ شُعَاعٍ كنتِ رَقْرَاقَةً وكنتِ لَطيفَهْ
لكِ طَعْمٌ أذُوقُهُ بل طُعُومٌ كُلُّهَا نَاضِجٌ هَويتُ قُطُوفَهْ
هُوَ طَعْمُ الحياةِ في فَوْرَةِ النُّضْجِ شَهِيُّ الْجَنَى خَبِرْتُ صُنُوفَهْ

* * *

* نشرت في ٣ار (مارس) عام ١٩٤٢

١- قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظَّلام الأمين تحدَّري يا سفيني
وَجانبي كلَّ نورٍ النُّورُ يُؤذي جُفُوني
لَقَدْ حَطَمْتُ شراعي ومِجْدَفي ويَميني
وهدَّ عَزْمِيَ مَوجٌ يَثُورُ كالمَجْنُون
أخْشَاه أخْشَاه جُهدي فَحاذِري يا سَفيني!

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَاءتْ نَفْسي بعبْءِ السِّنين
أُريدُ وَقْفَةَ أمْنٍ في مَجْهَلٍ مَأمُون
أُزيحُ فيه قَليلاً عَن عَاتقي المَوْهُون
وأستريحُ رُويداً من الصِّراع الحَرُون[1]
وقد أُعاوِدُ سَيْري في اللُّج أزجي سفيني

* * *

إلى الظلام الأمين إلى مَلاذ السُّكُون
طَالَ التيقُّظُ حتَّى أعْشَى السُّهادُ عُيوني[2]
إلى المَسارِب فَامْضي لأنْزَوي عن شُجُوني
وعَنْ رَجائي ويَأسي وكلِّ ما يَعْنيني
الانْزِوَاءُ مُريحٌ فَأوْغلي يَا سَفيني

* * *

* نشرت في عام ١٩٣٤.
١- الحرون: المتمرد والمراد: الصراع المرير.
٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق*

قِفْ بنا يا حَادِي العمر هُنا لَحْظَةً تَنْظُرُ ماذَا حوْلَنا
في طَرِيقٍ قَدْ نَثَرْنَا عُمْرَنا فيه أشلاءَ حياةٍ ومُنَى

* * *

قد نَثَرْناها على طَولِ الطريقْ ومَضينَا ضِمْنَ قُطْعانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحيقْ مُغْمَضَ العينين يَسْرِي مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَلامِ الغَيبِ تَخطُو قدمَاه لظلامِ الغيبِ تَنْسَاقُ خُطَاه
في طريقٍ غامضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِفُ الحادِي فيمضِي مُذْعِنا

* * *

لَهْفَةً لو عُدتُ أرْعَى خُطَواتي في طَريقٍ دَرَجْتُ فيه حَياتي
فَتَطلَّعْتُ إلى هذا الشَّتات وأنا في الكَرَّةِ الأخْرى أنَا!

* * *

لَتَمَلَّيْتُ شِيَاتي وسِمَاتي وأَمَانِيَّ ويأسِي ورَجَاتِي[2]
وحَمَاقَاتِي ورُشْدِي وهَنَاتِي والهَوى الحَانِي الذي ظَلَّلنا

* نشرت في عام ١٩٤٦.
١- المَوهِنُ: نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.
٢- شِياتِي: مفردها الشِّية. العلامة.

* * *

كلُّها عَاهَـدتُ أن أقْضِي عُمرِي وأنـا أُخْلِصُهـا سِـرّى وجَهْرِي
وإذَا السّـوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهَرِي حيثُ لا أسْـتطِيعُ رَيْثـاً أو وَنى[1]

* * *

وإذا الآمَـالُ والآلامُ خَلْفِـي سَـاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيـدي وخُلْفِي
مُلْقَيـاتٌ بـينَ إهمـالٍ مُسِـفٍّ لم أُوَدِّعْهـا. فيـا وَاحَزَنَـا![2]

* * *

أيُّهـا الحَـادِي ألا فامِـضِ بِنَا قـد أثـارتْ ذِكْرَياتِي الشَّـجَنَا
لم نعُـدْ نَجـزعُ لو تَحْـدُو لَنَا: «نحـن لا نَرْجَـع يوماً هـا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف. ٢- المُسِفّ: من أسَفّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلُّع إلى جديد:

أنْـتَ أوْغلتَ في الظـلامِ طويلاَ فمتى يـا رفيـقُ تبغـى القُفولا؟
شـدَّ ما آدَنَا التخبُّـطُ في الليلِ وخِفْنـا ظلامَـه المدخـولا![1]
ورأينَـا الأوهامَ تبدو شـخوصاً ورأينا الشـخوصَ تبدو هَيُولَى[2]
وَخَبَرْنـا فلـم يُفِدْنـا اختبـارٌ وسَـخِرْنَا ممَّـا خَبَرْنَـا طَويـلاَ
يـا رفيقـي. إذا قَـدَرْتَ فأوِّبْ إن هـذا الظـلامَ يُضْنِـي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشـى الضيـاءَ أُبْصِر فيها ذكريـاتٍ تبدلـتْ تبديـلاَ
أنا أخْشـى النَّهار يكشـفُ عني كلَّ وَهْـمٍ أرُودُه تعليـلا
أنـا يا صاحـبي أُشِـيحُ بوجهي أنـا أرى عهْدنـا تَـرَدَّى قتيلا
أنا يَـا صَاحِـبي أُدافِـع عَقْلِي أنْ يَـرُودَ الْيَقِـين جَهمـاً ثَقيلاً
الظَّـلامُ الظّـلام أرْوَحُ للقلبِ ولـو كان لا يُريـح العقـولا!

* * *

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١
١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.
١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيــقُ. الحَيَاةُ أسْــمى وَأغْلى أن تُقَصّــى كــذاك وهمــاً ضئيلاً
يــا رفيــقُ. الحياةُ أقصــرُ عهداً أن تُضحّــى ســاعتها تخْيــلا
أُبْ مــن الظُّلمــةِ الحبيبة واهجُرْ كلّ مــا كان في الحيــاةِ الأولى
وتطلّــعْ إلى جَمــالٍ جَديــدٍ أفلــم تَلْــقَ في الحيــاةِ جميــلاَ؟
عِــشْ بما قــد وُهِبْتَهُ مــن حياةٍ مُسْــتثارَ الإحســاسِ نَهماً عجُولا

* * *

آه يــا صاحــبي أتجهــلُ أنّــى أفقــدُ الــدَّارَ إنْ فقــدتُ الطُّلولاَ
ذاك عهــدٌ أنفقتُ فيــه رَصيدي كلّــهُ لم أُبْــقِ منــه قليــلاَ
أتُراني أُجــدِّدُ الذُّخَــر والعُمــ رمُــوَلٍ والجَهْــدُ أمســى هَزيلاً؟
أنــا باقٍ هُنــا فإن شــئتَ دَعْني ورُدِ الْكــونَ حافــلاً مَأهُــولا
أنــا بــاقٍ هُنــا أرُودُ طُلُــولي لَم أعُدْ بَعــدُ أســتطيبُ القُفُولا!

* * *

أقدام في الرمال*

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟ وخيــالٌ سَــارِبٌ إثْــر خيــالْ
في متاهــاتِ وجــودٍ لــزوالْ كبقايــا الخطــو في وجــه الرَّمالْ

زُمَــرٌ تَدْلــفُ في إثْــرِ زمَــرْ وَيْحَ نفســي ! إنه ركبُ البشــر
مغمــضُ العَيْنَيْن في كَــفِّ القدَرْ كلَّمــا أوْغَــلَ في التّيــهِ انْدَثَــرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيّانَ سَــارَا؟ مــا أرى في إثْــرِه حتّــى غُبَــارَا
مــا أرى قبراً ومــا أُبْصِــرُ دَارَا ضَلّــةً لي! ذاكَ ظِــلٌّ وتَــوَارَى[1]

* * *

مِنْ ظَــلامِ الغيبِ في التيــهِ البعيدْ لظــلامِ الغيــبِ في التيــهِ المديدْ
وَمْضَــةٌ كالــبرقِ تجتــازُ الوجودْ ويُسَــمّيها بنُــو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَــةٌ رَاقــتْ لأبنــاءِ الفَنَــاءْ حينمــا أعْيا علــى الأرضِ البَقَاءْ
المســاكينُ هَبَــاءٌ في فَضَــاءْ رَحْمَــةً للذرِّ في مَسْــرَى الهواءْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٤٦
١- الضَلّةُ: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحسُّس الوافدين أو أرى الأرضَ تَحسُّس الرَّاحلينْ
كلُّ مَـا كَانَ وما سـوف يَكُونْ نَأمَةٌ تَهْجِسُ في جَوْفِ السُّكُونْ

* * *

خَطَـواتٌ ذاهبـاتٌ في الرِّمَالْ وخيـالاتٌ تَـرَاءَتْ لخيـالْ
وشُـخُوصٌ تتـوارى كظـلالْ للزوالِ... كلُّ شـيءٍ للـزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنت سَـالَمك الزمانُ ولا أنَا لا أنْـت داعيةٌ ولا أنا مُسْـتَجيبْ
هـذي مَياسـمُه على قَسَـمَاتنا قَـرَّتْ أمانينا على الأُفـقِ القَريبْ
ودَبيبُـه ينسـابُ في خَطَرَاتنـا ويَكْشفُ الوهمَ المُغَلْغَلَ في الغيوبْ
ويَدَاه تَنْسـلُ من خيـوطِ حَياتنا وبدوتُ عاريةً مـن الأَلَقِ العجيبْ
ويَـدُ البِلى تَطوِي الرغائبَ والمُنى وبدوتُ عَادِيَّ المحاسِنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ ما الأحلام؟ ما الشوقُ الدفينُ ألقـاكَ كالذكرى تَمـرُّ بخَاطِرِ
مَا نَشْوةُ الذّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟ كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعِرِ[1]
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّـحِ بالفتونِ؟ كالرسـمِ يَبْهتُ لا يَبِـينُ لناظِرِ
ما اللهفـةُ الكبرى تُراودُ في جنونِ؟ كبصيـصِ نارٍ في الرمـادِ الفَاترِ
مـرَّتْ عليها كُلِّها كَفُّ السـنينَ! وَيْحي وويْحُكِ نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

* * *

خَطَوتُك النَّشْوى التي كادتْ تَطيرُ ويَحْي وويحُك ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟
وتوَفُّـزُ النَظَـرات في ألَـقٍ مُثيرِ خُـدَعٌ تُهَدْهِدُنا بهـا الأُمُّ الولودْ
وتَوثُّـبُ اللفتـاتِ في لَهَفٍ حَرورِ ويدُ البِلى تَطْوِي القديمَ على الجديدْ
وتُقَلِّـبُ الرَّغَباتِ في قَلَـقٍ غَريرِ والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ[2]
ويَحْي وويحُك قـدْ تَعَاروَها الفُتُورُ والنـاسُ والأيـامُ والدُّنيـا عَبيدْ

* * *

* نشرت عام ١٩٤٨.
١- الوسنى: الناعسة.
٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.

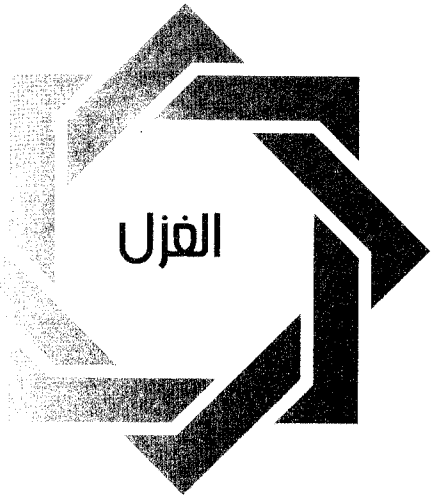

هي أَنتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَرواحِ تُضْفِي حناناً

وهي تَهفُو في ظِلِّها المَمْدُودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليـــلاتُ ذَاهبةٌ كغَمْضَةِ العـــينِ في أضْغَاثِ أَحْلاَمِ
يَرْعَاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً تجيشُ بالحـــبِّ عَن وَحْـــيٍ وإلهامِ
يَرْعَاكِ مَنْ خَلَقَ الأرواحَ شَاعرةً دقيقـــةَ الحـــسِّ في رِفـــقٍ وإحكامِ
لأنتِ أقصـــرُ ليلاتـــي وأخْلَدُها وأنـــتِ أَزْهَـــرُ سَـــاعَاتي وأيامي
فيـــكِ التقينا فـــلا إثْمٌ ولا حَرَجٌ في ظلِّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسَّـــامِ
ورُوحٌ من الحبِّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَةِ النَّامي
ويُنْشِـــدُ الحـــبُّ أنغامـــاً يُلحّنُها لحنَ الطبيعةِ ذَاتِ المنطقِ السَّـــامي
باللّيـــلِ يَتلُو على الأكـــوانِ آيتَه ما أبدعَ الليـــلَ في شَـــدْوٍ وأنْغامِ

* * *

يـــا ليلةَ الأمسِ هَـــلا أنتِ عائدةٌ إلى الزمـــانِ فَأنْسَـــى كل آلامـــي
إنّـــي لأَلْمَحُ طيفاً منْكِ يُؤْنِسُـــني في وَحْشَـــتي بـــينَ أيقـــاظٍ ونُوّامِ
ذكـــراكِ باقيةٌ مهمـــا يَطُلْ زَمني فأنـــتِ زهـــرةُ أيامـــي وأعْوَامي
فيـــكِ أوّلُ آمَـــالي وآخرهـــا وأنـــتِ مَنْبَـــعُ إمـــدَادي وإلهامي

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلـــك النظرات كلمـــا جادت بمـــرآك الصُّـــدَفُ؟
وخيـــالاتٌ تـــراءى في سُـــباتٍ مُذُ كيات ما بنفســـي من شَـــغَفْ؟
أكـــذا تمضـــي بقيّـــاتُ الحيـــاة ليتَ شـــعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟
آهٍ . مـــا أشـــجى ومـــا آلم . آهٍ إن يكن هـــذا فما أقســـى القَدَرْ!
أين ســـاعاتٌ مضت قبل الفِراق ملؤهـــا العطف ورَّياهـــا الوفاءْ؟[1]
هكـــذا الدنيا اجتمـــاع وافتراق وهـــي آهـــات وذكرى وشـــقاءْ!
شـــد ما ألقـــاه في هـــذا النَّوى مـــن عذاب ينـــكأُ القلـــب أليم[2]
شَـــدَّ ما تَسْتشـــعرُ النفسُ الجوى فَتلظَّـــى في شُـــعورٍ كَالجحيـــمْ
ليتني أدْري – وإن لم يُشْـــفِني – كيفَ أُبْدي مَا بنَفْســـي مـــنْ ألَمْ!
ربَّ إحســـاسٍ أليـــمٍ شَـــفّني لم أصـــورْهُ بلفـــظٍ فاضطـــرم[3]
آلم الإحســـاسَ إحســـاسٌ دفينٌ وشـــعورٌ في فـــؤادٍ يَشْـــتَجِرْ
لم يَجِـــدْ لفظـــاً فـــأدّاه الأنـــينُ ودمـــوعٌ سَـــاكِباتٌ تَنْهَمِـــرْ
أتَـــرى آلمُ للقلـــبِ الكَليـــمِ مِـــنْ رَجـــاءٍ كان يَزْهُـــو فَخَبَـــا؟
وانطـــوى يَغْمـــرُه يـــأسٌ عَقيمٌ يتـــركُ القلـــبَ قَفـــاراً مُجْدِبـــا؟
أتُرى أوْحَـــشَ مِنْ ديـــرٍ كئيبٍ في فَـــلاةٍ لا يُدانيهـــا البَشَـــرْ

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.
١- ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.
٢- ينكأ: يفتح الجرح من جديد.
٣- شَفّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيحُ تحميه الهبوبَ دَقَّ ناقوسٌ به عندَ السَّحَرْ؟
ذاك قَلْبي بعدَ فُقْدان الأمل مُوحِشٌ يَطْرقُه صوتٌ سَحيقْ
تبعثُ الذكرى صَداه إذْ تُطِلّ مُشْجياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الذي كانَ وماذا سَيكُونْ؟ لستُ أدْري مَا جَوابي، لا جَوابْ!
لَيتني أدري خَبيئاتِ السنينْ إن فِراقاً أو يَكُن بعدُ اقترابْ
إيه يا مِلءَ فُرادي ومُنَاهْ إيه يا رمزَ الأمَاني والأملْ
يا نسيماً ضَمَّ أنْفَاسَ الحياةْ نَفْحَةٌ تُهْدي إلى مَيْتٍ أجَلْ
أنا إذ ألْقَاك عَفْواً لا أُحسّ فيك جِسْماً كبقيات الجسُومْ
إنما ألقاكَ طَيفاً لا يُحَسّ طائفاً يَهفُو كما يَهفُو النَّسيمْ
في خَيالي أنتَ أنْقَى وأرقّ أنتَ رُوحٌ فيه أو طيفُ مَلَكْ
بجناحَيه تَراءى فخفقَ بسناءٍ هادِئٍ يُغْري الحَلَكْ
أفَلا لُقْيا بثغرٍ بَاسمٍ؟ أفلا قلبٌ أُناجيه سَميعْ؟
أفلا شَكْوى فؤادٍ هائمٍ؟ أفلا نَجْوى بِصَمْتٍ وخُشُوعْ؟
«بحَياتي أفْتَدي هذا اللقاءَ» وأمانيَّ وما ضَمَّتْ يَدَاي
وبِنَفْسي لو دَنا عهدُ الرِّضَاءِ فَمحا بُؤْسي وأوْدَى بجَواي
وأوَى قلبين في بُرْدِ الوَفاءِ مثل ما كانَا شَقيقَيْ مَوْلِدِ
ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدني رَجاءَ فَلأْمُتْ أو أبقَ حِلْفَ الكَمَدِ

* * *

طيفا!!*

هو هذا أنتَ يا طيفُ؟ فأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَهْلاَ

* * *

هَوَّمَ النَّومُ وأرْخَى رِيشَه واحتواني بِجَناحٍ قَد تَدلَّى
وانزوى العَالمُ عنّي وخَبَتْ ضَجَّةُ الكونِ وما فيه وَوَلَّى
ها هُنا في النومِ ألْقَى عَالَماً هَادِئاً رَحْباً وبَسَّاماً مُظِلاَّ
وتَراءى الطيفُ سَمْحاً رَاضياً باسماً كالأمَلِ الحُلو وأحْلَى
هُو هذا أنتَ يا طيفُ؟ فأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَهْلاَ

* * *

أدْنُ مِنّي فاستمعْ لَحْنَ فُؤادي إنَّه لَحْنٌ يُغَنّيه بَديعْ

* * *

إنَّه عنوانُ حُبٍّ وَوِدَادٍ وهَيامٍ بين أحْناء الضُّلُوعْ[1]
إنَّه أُنْشُودَتي أحْلُو إليها بينَ صَمْتٍ وهَيامٍ وخُشُوعْ
إنه لَحْنٌ أُغَنّيه وَقلْبي خَافقٌ والعينُ تَهْمي بالدّمُوعْ[2]
أدْنُ مِني فاستمع لَحْنَ فُؤادي إنَّه لَحنٌ يُغَنّيه بَديعْ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.
١- أحناء: الأضلاع

هــاك قَلْبِــي فتســمَّعْ خَفقاتــه فهــو قَلْــبٌ مُسْــتثارُ الخَفَقــاتِ

* * *

بَلِّــلِ الْوَجْــدَ وهَــدِّىء زَفَرَاته فهــو قَلْــبٌ ضَيــقٌ بالزَّفَــراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادي بعد ما قَــدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشــكاةِ

هــاكَ قَلْبِــي فتســمَّعْ خَفقَاته فهــو قَلْــبٌ مُسْــتَثارُ الخَفَقــاتِ

* * *

أنْــتَ يا طيــفُ ويا رَيَّــا حبيبي أنــتَ رُوحُ أو رَمْــزُ السَّــلامِ

* * *

لــك منِّــي كُلُّ مَعْــنى قُدْســيٍّ يَهْمِــسُ الحــبُّ بِــه بــينَ الأنامِ

أنــتَ يا طيــفُ ويا رَيَّــا حبيبي أنــتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّــلامِ

* * *

صوت؟!*

تُذَكِّــرُني الماضي فآســى لِذِكْرِه وتُوقظُ أشْــجَاني وقد كنتُ نَاسيَا

وتُلْهِبُ إحسَاســي بأنغامكَ التي تحــدِّثُ عــن قلــبي إذَا أنَّ باكيا

حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى فخلِّفَــه نضْــواً من الهــمِّ واهيَا[1]

تُهيــجُ بِــه الأنغــامُ آلامَه التي تحمّلَهــا بالرغــم أسْــوانَ رَاضيَا!

تحمَّلها لم يَشْــكُ للنــاسِ ثِقْلَها وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شــاكيَا

* * *

تُذَكِّــرُني حُبَّــا قديمــاً دفنتُــه ونفضتُ كَفِّي يائســاً منه آســيَا

ورحــتُ أواري كلَّ آثــاره التي تَراءى فَتُذْكي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيَا

بعثــتُ به حيّــاً يُطِــلُّ ويَنْزَوي ويفتــحُ أجْفَانــاً مراضاً سَــواهيَا

يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها تُمَــزِّقُ أشــتاتاً وتبــدُو بَواليَــا

هو اليَــومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه فلا هــو مَعْدومــاً ولا هُــو باقيَا

هو اليــومَ آلامٌ وقــد كان مُتْعةً ورُوحــاً ورَيْحاناً وطيْفــاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما بعثتُ بــه صوتاً من الثغرِ شَــاجيَا

وجَاشَ به صدرُ الحيــاة فرجَّعَتْ أغاريدَه كالنُّــوحِ أسْــوَانَ دَاويَا

وحدَّثْتَنَــا عَما أكَنَّتْ نُفُوسُــنا فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَــاهيَا[2]

تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثارَ شَجْونَا ونُمْسِــكُ أكبــاداً تَنْــزَّى دَواميَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت : محمد بخيت.

١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.

٢-أكنّت: أخفت.

هي أنتِ *

هـي أنتِ الـتي خُلِقَـتْ لِنحيَا في ظـلالٍ مِـنَ الوفاءِ الرشـيدِ؟
كحيـاةِ الأرواحِ تُضْفِـي حناناً وهـي تَهفُـو في ظلِّها الممـدودِ؟
حيثُمـا الحـبُّ طائـفٌ يَتراءى كالمـلاكِ المهـوّمِ المَكْـدُودِ
حَانـي العِطْفِ إذ يَضـمُّ علينا ضمـةَ الأمِّ رَحْمَـةً بالوليـدِ
فـإذا الكـونُ والحيـاةُ جمـالٌ وإذَا العيـشُ فُسْـحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْـتِ التي أطافتْ بنفسـي وتـراءتْ في خَاطِري مـن بعيدِ؟
حينمـا كنـتُ هائمـاً أتلقـى أغنيـاتِ الآمالِ شَـتَّى النشـيدِ؟
في ظِـلالٍ مـن الأمانـي تَتْرى بـين وادِي التعلَّـةِ المعهـودِ![1]
إذْ تَراءَيْـتِ هَالـةً مِـنْ رجاءٍ هَـادئ لَيِّـنٍ رفيـقٍ وَئيـدِ[2]
ثم دَانَيْـتِ في دَلالٍ وديـعٍ ثم باعـدتِ في دلالٍ شَـرودِ؟

* * *

هي أنـتِ التي تلاقيـتِ رُوحاً مع روحـي فَهَامتَـا في الوجودِ؟
هـي أنتِ الـتي تُحَـدِّثُ عنها خَطَـراتي، في يقظـتي وهَجُودي؟

---

* نشرت عام ١٩٣٠
١- التعلة: ما يُتعلل به.
٢- وئيد: متمهل.

إن تَكُـوني! إذْنْ فهـاك فؤادي كلّـه خالصـاً نقـيَّ العهـودِ
وتعالَـىْ نَبْـغِ الحيـاةَ جِهـاداً عبقـريَّ التصويـبِ والتّصْعِيـدِ!
شَـجّعيني علـى الجهـادِ طويلاً فجهـادُ الحيـاةِ جِـدُّ شَـديدِ
أشْـعريني بـأن قلبـاً نقيًّـا يَرتَجِي سَـاعِدي ويهوى وُجُودِي
ثم سِـيري معـي نَخُـطُّ طريقاً كمهـادٍ في الصَّخـرةِ الجُلْمُـودِ
نظـرةٌ منـكِ وابتسـامةُ حُبٍّ تتـركُ الصَّعْـبَ لَيِّنـاً كالمُهـودِ
لك منـي عَواطِفـي وعُهودِي لـك مـني رعايـتي وجُهـودِي

* * *

أحبك *

أُحبـــك كالآمال إذْ أنـــت مثْلُها تُذَكِّين في نفســـي أعـــزَّ مَواهبي[1]
ومـــا هـــي إلا نظـــرةٌ شـــاعريَّةٌ تعبِّـــرُ عمـــا شـــئتُه مِـــنْ رَغَائبِ
فَتَسْري إلى نَفْســـي مَضَاءً وجَرْأَةً ووثبةَ حسَّـــاسٍ. وَعزْمَـــةَ راغب
ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْـــري كأنَّه نشـــيدُ مَـــلاكٍ هَائـــمٍ مُتَقَـــارِبِ
يعيـــدُ إلى المكدودِ راحة نفســـه ويبعثُـــه خَلْقـــاً جديـــدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّك من قلبي الـــذي أنْتِ ملْؤُه ومِنْ كلِّ إحســـاسٍ بنَفْســـي ذَائبِ
فُؤادي الذي فتَّحْتِ فيه مشـــاعراً من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ
سموتُ به حـــتى تكشّـــف دونَهُ عـــوالمُ أقـــرى تائهـــات الجوانبِ
عـــوالمُ لاتعـــد ولقلـــبٍ مَنصَّبٍ بلا ذلك القلـــب الرفيق المصاحب
بهـــا كلُّ لـــذاتِ الحيـــاةِ ودونها لِذائـــذُ أُخْرى كاذبـــاتِ العَواقبِ
أُحبُّـــك إذ تَرجـــين مـــنّ رعايةً وتَهْوينَ ســـاعاتِ الحيـــاةِ بجَانبي
هنالك نَسْـــمُو بالحيـــاةِ فَنَرْتقي إلى كَنَـــفٍ بينَ الســـمواتِ ضَارِبِ
هنالـــك نَحيـــا والأمـــانيُّ حَوْلَنا تُغَـــرِّدُ ألحـــانَ المُـــنى والرغَائـــبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠.
١- تذكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

توارد خواطر!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحبةِ هذا الاسم تنظرُ إليه وتحييه...!

أفأنتِ ذي ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ؟ إني أراكِ كطائـــفِ الأحـــلامِ !
لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطري ألفيتُ شَـــخْصَك كالمـــلاكِ أمَامي
فَدُهشْتُ أو فارتعْتُ أو فَتضَرَّمَتْ خَفَقـــاتُ قلبي المُنتَشـــي البَسَّـــامِ
عجباً! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري بك؟ أم سريت على جناحِ غرامي
إنَـــي لأ ومِـــنُ بالغـــرام وإنّـــه يَقْـــوي علـــى مُتَعَـــذِّر الأوهام!

* *

ماذا صنعتِ بعالَمـــي وخَواطِري لَمَّـــا لَقيتُك كالخيالِ السَّـــامي ؟
أفأنْتِ سَـــاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعـــثُ في الحياةِ حُطامي ؟
وتُحيلُ صُـــمَّ القافـــراتِ نَوابضاً بالزهـــرِ ، والآمـــالِ والإلهَامِ ؟![1]
وتُجَمِّـــلُ الدُّنيـــا وتَخْلُـــقُ عَالَماً للخُلْـــدِ فيه مَـــدارِجٌ ومَسَـــامِ ؟
الله ! . أو فالحـــبُّ . فهـــو ظِلالُهُ في عـــالمِ الأوهـــامِ و الأفْهـــامِ !

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣
١- صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

يالللقـــاء ! فكيـــفَ قـــد حَجَّبتـــه عن نفسٍ منهـــومِ العواطفِ ظَامِ؟
هو هـــذه الدُّنيا وعَالمُ ســـحرِها ؟ هو ذلك النبعُ الجميلُ الطَّامي؟[1]
حَجَّبتـــه عنّـــي، فأســـفَر بغتـــةً بيـــدٍ تجـــيء بمُعْجِـــزِ الأيـــام !
الحـــبُّ ؛ يالحـــبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى مـــن غـــيرِ تدبـــيرٍ وغـــيرِ نظَامِ!
إني وَثِقْـــتُ بـــه ومـــا هُـــو باخلٌ بـــكِ يا ســـعادُ بيقظـــتي وَمَنامي

* * *

١- الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفدُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ ســـرٍّ بَـــلْ إلى أيِّ طَلْسَـــمٍ تَوَجَّه مِنْ عينك شُـــعَاعُ مُلْهِم ؟
إلى مَخْبأ الأسْـــرارِ في نفـــسِ كَاهِنٍ تُحجِّبُها أســـتارُ دُجْوان مُظْلِم[1]
إلى الغابرِ الماضي الذي ضَاعَ رَسْـــمُه وغيَّبَه النِّســـيانُ في تيه عَيْلَم[2]
إلى القابـــلِ الآتي الـــذي نَـــدَّ طيفهُ عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّم
إلى حَيْثُمـــا الأقدارُ تُمضـــي أمورَها على خِفْيـــةٍ من وهمِـــه المُتَوهِّم
إلى مـــاوراءَ الكـــونِ والعـــالمِ الذي تُحيـــطُ به رُؤيا السَّـــحَيْرِ المُنوِّم

* * *

لَأَحْسَسْـــتُ فيها رِعدةً[43] إذْ تَوجَّهَتْ وَدَبَّ لهـــا قلْـــبي وأَنكَرَها دَمِي
وأَحْسَـــبُها قد جـــاوزتْ في عُبورِها عَوالِـــمَ لم تُخْلَـــقْ ولم تُتوهَّـــم

* * *

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.
١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو: تمّ وكمُل.
٢- عيلم: بحر.

حدثيني*

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيني بمستتار شُجونكْ واكْشفي لي عما اخْتَفى مِنْ شُؤونكْ
حَدِّثيني بما تُكنِّينَ إني أنا أولى بعبئه مِنْ دُونكْ
أنا أقْوى على الحياة إذا عِشْتُ حَياتي مُزَوَّداً مِنْ يقينكْ
ولقد عِشْتُ للمآسي إلى أنْ قَدْ عَرَفْتُ السُّرورَ مِنْ تَلْقينكْ

ولقد عِشْتُ للبكاء إلى أنْ قد سَمِعْتُ الغِنَاء في تَلْحينكْ
ولَقَدْ عِشْتُ للظلام إلى أنْ قَدْ لَمَحْتُ الضِّياءَ بينَ عُيونكْ

* * *

حَدِّثيني عَنْ سِرِّهَا نَظَراتٌ أو دُموعٌ تَجُولُ بينَ جُفُونكْ
حَدِّثيني عن الأسى يَتَرَاءى كأسيف الرَّجَاءِ فوقَ جَبينكْ[1]
أو تَعالَيْ لذلك الكَنَف الحا نِي عليك وارْكَني لِسكُونكْ
هُو أَحْنَى عليكِ مِنْ قَلْبِها الأمِّ وَأَدْرَى من قَلْبِها بحَنينكْ
فَاغْمُري في عُبَابِه المُتَرامي مَا مَضَى عَنْكِ أو أَتَى مِنْ شُجُونكْ
وَابْعثيها ابتسامةً وحياةً مِلْؤُها السِّحْرُ والهوى مِنْ فُتُونكْ

* * *

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.
١- كأسيف: رقيق القلب.

خصام*

تَخاصَمْنا. تخاصمْنا ! كذلك يعبثُ الحبُّ !
أليسَ الطِّفلُ إذْ تَنْزُو قُواه يَهُمُّ أو يَكْبُر؟[1]
أليْسَ يُحطِّمُ اللُّعَبَ الـ ـتي كانَ لَها يَصْبُو؟
أليسَ يَهزُّه الصَّخَبُ ويَحْلُو عِنْدَه الوثْبُ؟
كذلكَ حُبُّنا يَحيَا وَليداً جَدُّه لعِبُ!

* * *

تَخاصَمْنا. تخاصمْنا وإنْ لَم يَسْمَعْ القلبُ!
أليستْ لا تُحَيِّيني ولا يسليَ القُرْبُ؟
ألسنَا إن تلاقَيْنَا نَغُضُّ وتُسْدَلُ الحُجُبُ؟
وَما قُبلاتُنا تَترى ولا الرُّسُلُ ولا الكُتُبُ
كذاكَ نَعيشُ في صَمْتٍ فلا غَزَلٌ و لا عَتْبُ

* * *

تخاصمْنا. خُصُومَتُنا سلامٌ ثَوبُه حَرْبُ!
سلامٌ بينَ قَلْبَيْنا فكلٌ هَائمٌ صَبُّ

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.
١- تزو: يثب بنشاط.

ونَخْسِرُ في مَظاهِرِنا ومِلْءُ وِطَابِنا كَسْبُ !
ونَظْمَأُ إن تَنَاءيْنَا فَيحلُو الْوِردُ والشُّرْبُ
وتَذْكُو للهَوى شُعَلٌ فلا تخنو ولا تخبو
كذلك حُبُّنَا يَحيَا كذلك يَعْبَثُ الحُبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُو قلبٌ لَمَسْتِه، أَمْ(بِيَانُه)؟ فَتَنَادتْ مِنْ جَوْفِه أَلحَانُهُ
هو قلبي أجَلْ فَهذي الأغاني هُو يَشْدُو بِها، وذا تَحْنَانه
أم تُراه – كما أرْجو – فؤادٌ بينَ جنبيكِ مُلْهَمٌ خَفَقَانُه
فتلاقى القلبانِ في ذلك اللحن وحَاكَتْ خفقاتِهما أوزانُه
وتَراءى في اللحن طيفُ الأمَاني مُطْبَقَاتٌ على الرؤى أَجْفَانُه

* * *

لَحْني أنتِ خَفَقَ قَلْبي نشيداً أنْتِ أدْرَى بِما حَوى وِجْدَانُه
والْمَسِي بالحنانِ قَلْبي فَيشْدُو مِثْلَمَا تَلْمَسُ البنانُ البَيَانُه
بَلْ فَؤادي مُلَحِّنٌ عَبْقَرِيٌّ ! لَحْنُهُ مِنْه قِطْعَةٌ وَبَنَانُه
أَلْهِميه النشيدَ وهو يُغَنِّي لكِ وادي الخلودِ سَامٍ حَنَانُهُ
أَلْهِميه النشيدَ وهو يُجَلِّي لكِ وادي الخلودِ زُهْرٌ جنَانُهُ
أطلقيه من القيودِ بِلَحْنٍ قَدْ تَسَامى على القيودِ افْتِنَانُهُ
ودَعِيه يَطِرْ دونَ جَنَاحٍ غيرَ حبٍّ يَزِيدُه طَيَرَانُه

* * *

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤
١- البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بعَيْنَيْـك أُبْصِـرُ رُوحَ الظّمـاء وبالنفـس أَلْمَـحُ طَيْـفَ القَلَق
ففـي الخَطَـرَات، وفي اللّفتَـات وفي النَظَـرَات، وبـينَ الحَـدَق
يُطِـلُّ التلهـفُ في وَثْبَـةٍ وتَعْصِـفُ ريحُ اللّظَـى المُحْترِق
لأيِّ مـن الأمـرِ هـذا التَطلُّـع هـذا التوثُّـب، هـذا الحَـرَق
شُـوَاظٌ من الشَّـوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟ من الحـبِّ محمـرةٌ كالشَّـفَق؟

* * *

أُحِـسُّ بأنَّـك مَلْهُوفَـةٌ لأن تَنْهلِـي كلَّ مَعْنَـى الغَـرَام
وأن تَنْهبِـي النـورَ مـن فجـره وأن تَسْـلُبِي زَفَـرَاتِ الظَّـلام!
وأن تَقْطِفـي كلَّ زَهـرِ الحيـاة من الشَّـجْوِ والوَجْدِ أو الابتسام
تَفَتَّـحَ فيـكِ شُـعورُ الحيـاة فَشَـفَّكِ منهَا الهـوى والأُوَام[1]

* * *

إليَّ إليَّ؛ ولا تَجْفَلِـي فـإني ظمئـتُ لمـا تَظْمَئِـينْ
و أحسـبُنِي كنـتُ أهْفُـو إليك كما كنـتِ لي في المُـنى تَرقُبِينْ
وشَـطَّتْ بنـا بـدواتُ اللّقـاء وضَلَّتْ بنَـا خُطَواتُ السّـنينْ
إلى أَنْ لقيتُـكِ فَتانـةً فحرّكْـتِ مني اشـتياقي الدَّفِينْ
تَعالَـيْ نـروّ ظِمَـاء السـنين تعالَـي نَعِـشْ للمُـنى والفتُونْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟*

أُحِبُّـك حُـبَّ الهـوى والجُنون أحبُّـك حـبَّ الرَّشَـاد الرَّزِينْ
أحبـك بالقلـبِ في وَقْـدَةٍ أحبـك بالعقـلِ جَمِّ السُّـكُونْ
وتَبديـنَ في قلبِـي المسـتطارِ كما تُسْـفِرينَ بفكرِي الرَّصِينْ[1]
ففيـك تَلاقَـى الهـوَى والهُـدى وشَـابَه فيـك الرشـادُ الجنونْ
فأمـا ازْدَهانـي بحبـي الفتـون رَكَنْـتُ بـه للحجَـا واليقـينْ

* * *

لمـاذا أحبـك؟ هـل تَفكريـنَ؟ وما السـرُّ في الأمر؟ هل تَعلمينْ؟
أللحُسْـنِ؟ كَم قد لَقيتُ الحِسَـانَ فَمـا هِجْنَ بِي وَمْضَـةً من حنينْ
أللعطـفِ؟ إني القَـويُّ العطوفُ فمـا أرْتَجِـي رحمـةَ العاطفينْ
أللنظـرات وللّفتـاتِ وللسّـحرِ في مُهْجَتِي تَسْـكُبِينْ
وشـتى الخلالِ وشـتى السّمات؟ لقـد طالَما اجتمعـتْ للمئينْ[2]
إذَنْ فـلأيِّ المزايـا يكـونُ هَواي وحُبِّـي؟ هَـلْ تُدْرِكِينْ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمي الآنَ علْمَ اليقين سأكْشفُ عن سرِّ حُبّي الدّفينْ
لقد لَجَّ بي قبل هذا، السكون وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزينْ[1]
وقد عِشْتُ للجدِّ، جدِّ الرصين أهُمُّ وأكبُو بعبءِ السّنينْ
إلى أنْ لَقيتُك خَفّاقةً تَوَقَّدَ فيك الهَوى والفُتُونْ
فأنتِ هُنا جمرةٌ كاللّظَى وأنتِ هُنا شُعْلَةٌ تُومِضينْ
فأكمَلَ هذا المراحُ الطروبُ هدوءَ الحزينِ وجدَّ الرّصينْ
وأعجبني حُسْنُ هذا الكمال وإني عليه الحفيظُ الأمينْ

* * *

لهذا أُحبُّك: هل تَفْكرينَ؟ وهذا هو السرُّ. هل تَعْلَمينْ؟

* * *

١- آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَا شُعورٌ جَديدٌ؟ وفي كلِّ قُرْبٍ ظمَاءٌ يَزيدْ؟
وفي كلِّ يومٍ أرى عَالَماً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ؟
وألقاكَ والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبضُ فيه المُنى والوُرُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياة وتَشْدُو هَواتفُها بالنَّشيدْ
كأنَّ الحياةَ وآمالَها إذا مَالقيتُك خَلْقٌ جديدْ
هو الحبُّ لا القَدَرُ المستطيلُ يُقَسِّمُ في الكونِ شَتى الجُدودْ[1]
فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شَقيٌّ ويمنحُ فالكونُ راضٍ سَعيدْ !
ويَنْبضُ فالكونُ في نَشْوةٍ ويَجْمُدُ فالكونُ جاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتُك خَفّاقةً كالرجاء فذكّرْتني أنني بَعْدُ حَيْ
وجَاشَ بنَفْسي شعورُ الحياة وفتّحتُ في رَجْفَةٍ مُقْلَتَيْ
أُقلِّبُ عيني بهذا الوجود وترتادُ رُوحي منه الخَفيْ
فيا للجمال، و يا للغناء ويا للخواطرِ تهفُو إليْ!
ويالي مِنْ ظَامِيءٍ لاهِفٍ! ويالي مِنْ عَاشقٍ عَبْقَريْ!
يحيلُ الحياةَ إلى فتنةٍ وأصداءَها لنشيدٍ شَجي
ويُطْرِبُ بالشعرِ قَلْبَ الحياةِ وَيَنْفَحُها بالرِّضا القُدْسيْ
وما أنتِ إلا رسولُ الحياةِ وحبُّك مُعْجِزةٌ مِنْ نَبيْ

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطِلّـي بِطَلْعَتِـكِ السَّـاحرهْ وحَيِّـي بنظرتِـكِ الشَّـاعرهْ
أَفيضِي على الكـونِ فيضَ المِراحِ وغَذِّيـه بالقـوةِ الطَّافـرةِ[1]
ومالـك أنـتِ؛ وما للسُّـكُون؟ ومـا أنـتِ إلا القُـوى الثائرهْ
قُـوى الحبِّ تَنْبُـضُ بـينَ القِفَارِ فتغـدُو القِفَـارُ بِهـا ناضـرهْ
وتنفـخُ في سـاكناتِ القُلـوب فتغـدُو سَـواكنُها نَافـرهْ
وتهتـفُ للصُّـمِّ بالأغنيـاتِ فَيُصْغُـون للنَغْمَـةِ السَّـاحِرهْ

* * *

ألسـتِ التي نَبَضَـتْ (بالوجودِ) فشـقَّ قُوى العَـدَمِ السَّـاخرهْ
بلـى ! أنتِ سـرُّ انتصـارِ الحياةِ على المـوتِ في الوقعـةِ الظافرهْ
هُنالـك مـن قبـلِ ميلادِهـا وكانـتْ مغيبـةً حائـرهْ
وكنـتِ نـواةً بِهـا ضَامـرةً فعـدتِ حيـاةً بِهـا سَـافرهْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- الطافرة: الواثبة.

المعجزة أو السهم الأخير *

مَنَحتِني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ عـن منحِه، وَتَناهـي دونَه أملي
منحتني الحـبَّ للدُّنيا التي جَهِدَتْ في أن تُميـلَ لها قلبي فلـمْ يَمِلِ
وكلمـا قرَّبْتني، قلـتُ: خادعةٌ! وكلّما طمأنْتني؛ قلت واوَجَلي[1]
ويغمرُ الشّكُّ نَفْسي كلما كشَفَتْ عن فاتنٍ من حُلاهَـا غيرِ مبتذَلِ
حتى خَسِـرْتُ من الأيّامِ ما غبَرتْ به السُّـنون، وحتَّى عقّني أجَلي

* * *

واسـتَلْهَمَتْ هذه الدنيـا طبيعَتها في مُعْجِـزٍ مِنْ قُواهـا قاهرٍ حانِ
فأبدعتْـكِ جَمـالاً كلُّـه ثِقـةٌ يؤلِّـفُ الحبَّ من وَحـيٍ وإيمانِ
وأودعتْـكِ رَحيقاً مـن خُلاصتِها ومنبعُ السِّـحرِ فيها جَـدّ فتّانِ
وأرسـلتْكِ يقينـاً في طَلائعِهـا منيرةً في دُجى عَقْلـي ووجْدَاني
فكنـتِ آخـرَ سـهمٍ في كِنَانتِهَا وكنتِ معجزةً مـن خَلْقِ فنانِ[2]

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.
٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السّهام.

والآن أُخْلِـصُ للدنيـا وأمنَحُهـا حبّي، وأُدْرِكُ ما فيهـا من الفِتَنِ
والآن أنظـر للدُّنيـا وأنـتِ بهـا كعاشـقٍ بهواهـا جِـدّ مُفْتَتَـنِ
والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا علـى ثقةٍ بأنـني قَلْبُها الخفَّـاق في الزمنِ!
والآن أنصـتُ للدُّنيـا فَيُطْرِبُـني من صوتِها العذب لَحْنٌ سَاحِرُ اللَّحَنِ
لـك الحيـاةَ إذنْ ما دمـتِ مانحةً لِـيَ الحياةَ بـلا أجـرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أسـى الألحـانِ أمْ هـذا؟ أسـاكَ يسـيلُ في اللَّحْـنِ؟
وإلا هـذه نَفْسـي تميـمُ بِعَالَـمِ الحُـزنِ
فَتُوحي النفسُ للأذنِ؟
وأيـن نشـيدُكِ الراضـي؟ وأيـنَ نشـيدُكِ العَـذْبُ؟
وأيـن الفَرْحَـةُ النَّشْـوى؟ وأيـن القفـزُ والوثْـبُ
فُيذْكي وَقْدَةَ الحبِّ؟
سَـمِعْتُكِ أمـسِ لم أسْـمَعْ سِـوى نـبراتِ أسْـفَانِ
وغنـوةِ عاشـقٍ يَئِسـتْ مُنَـاه مـن الهـوى الفَانـي
فَأنَّ فؤادُه الحاني
هـي الأوتـارُ عَالِمـةٌ بمـا في قلبِـكِ المُفْعَـمِ؟
وإلاَّ أنـت مُوحيـة لهـا تَرنيمـةَ المـؤلمِ
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَمِ
بربـكِ عَلِّمـي اللحْنَـا يُرجِّـعُ غِنْـوةَ الأمـلِ
ويُبْهِـجُ هـذه الدُّنيـا ويبعـثُ نشـوةَ الجَـذِلِ
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ
أجِـلْ يـا خطـرةَ الفَـنِّ بـرأسٍ مُفَكِّـرٍ سَـامِ
وغايـةَ كلِّ فَنَّـانٍ يُنَاجـي حُسْـنَ أوهـامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تهرب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلــولا اعتــزازُكِ بالحــبِّ لم تَثُــرْ في فــؤادِكِ تلــكَ الرِّيــبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضِبْــتِ فيالَــكِ مِــن غَاضِبَــةْ! وأرْسَــلتِها نَظْــرةً عاتبــةْ
يُتَمْتِــمُ فيهــا الرجــاءُ الأســيفُ وتجــأرُ فيها المُــنى الوَاثِبَــةْ![1]
وفيهــا هُــدوءُ الرِّضــا المُطْمَئنّ تُمازِجُــه الغَيْــرةُ الصَّاخِبــةْ!
تُطِــلُّ بِهــا الذكريــاتُ العذابُ وتَرْجِــعُ مُجْهَــدةً لاَغِبَــةْ
وفيهــا فُتُــورٌ ولكنَّــه فُتــورٌ بــه قــوةٌ غَالِبــةْ

* * *

ولكــن بِهــا بعــدَ هــذا وذاكَ فنــونُ الهوى والجمــالِ العفيفْ
وفيهــا مــن السِّــحْرِ أطيافُــه بعينيــكِ ألْمَحُهَــا إذا تطيــفْ
لأهمتــني الســرَّ لمــا نظــرْتِ إليَّ بهــذا الفُتــورِ الشُّــفُوفْ[2]
وحدثْتــني في خُفــوتٍ عجيــبٍ بمــا أضمرتْــه لُغــاتُ الطيوفْ
ولــولا شــعوري بحبِّــي العطوفِ لأحببتُ فيكِ الشــعورَ الأسيفْ!

* * *

قــد انتصــرَ الحبُّ. يــا للانتصار بهــذا العتــابِ وهــذا الغضبْ
وَثِقْــتُ مــن اليــومِ في حُبِّنَــا وأنــكِ تَرْعينَهــه في حَــدَبْ
فلــولا اعتــزازُك بالحــبِّ لم تَثُــرْ في فــؤادِك تلــك الرِّيَبْ
إذَنْ فاطمئنِّــي فهــذا الفــؤادُ يحبُّــكِ في وَقْــدةٍ كاللهــبْ
يحبُّــكِ إيي وجمــالَ الغضــبِ يحبُّــكِ إيي والهــوى المُلْتَهِــبْ

١- تجأر: تتضرّع
٢- الشفوف:من شَفَّ يَشِفُّ شُفوفاً: رقَّ حتى يُرى ما خلفه.

٢

حَدِّثِيـــني أمـــا تَزالـــين غَضْبـــي؟ أوَ مَـــا زَالَ مِـــلءُ نَفْســـكِ رَيْبَا

ولمـــاذ الوقـــارُ والصمـــتُ يُضْفِي بعدمَا كنـــتِ لِي مَراحـــاً وَوَثْبَا

كانَ بالأمـــس كالعتَـــابِ جميـــلاً ما له اليـــومَ لَمْ يَعُدْ مِنْـــكِ عتْبَا

صَمَتَ الكونُ مُـــذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُـــردِّد اللحـــنَ عَذْبا

أنـــا أخْشَـــى ولا أُصَـــرِّحُ مَـــاذا أنـــا أخْشَـــى؛ فمـــا أزال مُحبّا

اِبْسُـــمِي تَبْسُـــمُ الحيـــاةُ وتَرْضَى وامْنَحِيـــني اليقـــينَ. أمْنَحْكِ حُبّا

* * *

مصرع حبا!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنـــا أشْـــرِى اليقـــينَ بالفُقْـــدَانِ مُؤثـــراً فيـــه وَاضـــحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامِرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيْرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيْرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلــةُ الشــكِّ والأسَــى والظَّلام وجحيــمَ الإقــدامِ والإحجــام
والعــذابِ المُمــضِّ لم يُتَصــوَّرْ في وعيــدٍ أو خَطْــرَةِ الأوهامِ[1]
قد تركتُ الماضي حَصيداً هَشــيمَا ونَضــيرَ الآمــالِ مثــلَ الحُطَامِ
عــنِ عذابِ الآمــالِ قَــدْ أتعزّى وما عَزائي عَمَّا مَضَى مِنْ غَرامي؟
ليتــنى أســتطيعُ أنْ أُرجــعَ المــا ضي فأُحيي ما ضَــاعَ مِنْ أيامي
ليلــةَ الشَّــكِّ هل مضيــت؟ فإني لم أزلْ بَعــدُ غارقــاً في الظَّــلام
والهــوى المُشْــرِقُ المنــيرُ تَهاوَى في خِضَــمِّ الدُّجَى العميق الطَّامي
والحيــاةُ الــتي تفيــضُ مِراحــاً قــد تبــدَّتْ في ذِلَّــةِ الأيتــام
وَمَشــى الحــبُّ مُطْرِقــاً يَتَوارَى كَحَيــيٍّ يَنُــوءُ تحــتَ اتِّهامي[2]
ليلــةَ الشَّــكِّ قَدْ طَمَسْــتِ حياةً مِــنْ رَجاءٍ صِيغَــتْ ومِنْ إلهامي
لَهفَــتي لليقــينِ يَغْمُــرُ نَفْســي لَهفَتي للهــدوءِ بعــدَ اضطرام
أنــا أشْــرِى اليقــينَ بالفُقْــدانِ مُوثِــراً فيــه واضــحَ الآلام

* * *

١- الممض: المؤلم.
٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقــينَ اليقــينَ بعــدَ ارتيــابِ الهــدوءَ الهدوءَ بعــدَ اصطخابِ
اليقــينَ اليقــينَ أطلــبُ فيــه راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ
أيهــذا اليقــينُ إنّــك قــاسٍ ما تَطلبــتُ كلَّ هَــذا المُصابِ!
أيهــا الشــكُّ رُبّما كنــتَ خيراً من يقــينٍ كالجَدْبِ بــينَ اليبابِ
حَيْرَةَ الشــك، هَــدْأةَ اليأسِ، هَلا لحظــةً تتــركانِ نَفْســي لِما بِي
لحظــةً تُخْليــانَ فيهــا فــؤاداً مَــلَّ وقــعَ اليقــينِ أو الارتيابِ
ثم مــاذا؟ ومــا الهــروبُ؟ وهذا واقعُ الأمــرِ، ما لهــذا التَّغابي؟
يــا يقيــني إلىّ. إن حَفِــيٌّ بيقــينٍ شَــرَيْتُه بِلُبَابــي[1]
بدمائــي الــتي بُذِلَــتْ، بدَمْعــي برجائــي المُنَــوّرِ الوَثَّــابِ
أنــتَ أغلى عَلــىّ مِــنْ كلّ هذا يَــا يَقِيني، ومُرْشِــدي للصوابِ

١- الحفيّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُــكِ يــا جَنَّــتي السَّــاحرةْ وغــادرتُ أفيــاءَكِ العاطــره
وهِمْــتُ تُشَــرِّدُني المُقْفِــراتُ وتَلْفَحــني كاللظَّى الهاجــرةْ[1]
وتَعْصِــفُ في نَفْســي العاصفاتُ وتَنْهَشُــها الوَحْشَــةُ الظَّافِــرَهْ
وقَدْ طَمَــسَ اليأسُ نَهْــجَ الرَّجَاءِ وغَــشَّ البصــيرةَ والبَاصِــرهْ
فــلا الظَّنُّ يَلْمَــعُ مِثْلَ السَّــرابِ ولاَ العِلْــمُ يُرْضِي المُنَــى الحَائرهْ
هــو اليــأسُ أو اليقــينُ الأليــمُ وبعــضُ الحقائــقِ كالكَافِــرهْ
فيــا لليقــينِ المُمِــضِّ اللَّجــوُجِ ويَــا لحَقيقتِــه الجَائــرهْ
فَقَدْتُــكِ ياليــتي إذ فَقَــد تُــكِ كنــتِ مؤمنــةً عَامِــرهْ
لَعزَّيْــتُ نَفْســي بالذكريــاتِ وأودعــتُ فِرْدَوسِــي الذَّاكرهْ
ولكــن فَقَدتُــكِ نَهْــبَ الذئابِ تجــوسُ خِلالَــكِ كالآسِــرهْ
ونهــبَ القَشَــاعِمِ والجارحــاتُ تخطِــفُ أثمــارك النَّاضِــرهْ[2]
ونهــبَ المطامِــعِ والمغريــاتُ تُدَنِّــسُ نِيَّتَــكِ الطَّاهِــرهْ
فقدتُــكِ في النفــسِ أنْشُــودةً ومعنى مــن الفتنــةِ السّــاحرهْ
فقدتُــكِ ذِكْــرى فوا حســرتاه لِفَقْــدٍ مــنِ العــينِ والخاطِــرهْ

١- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.
٢- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبِــي منَ الحنــينِ فَغَاضَتْ عَبَراتــي وأقفــرتْ مُنْــذ حِينِ
وحســبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ بــينَ ماضِــي حياتــي المَكنُونِ!
وإذا بي أُودِّعُ اليــومَ عَهْــداً فتفيــضُ الدموعُ مِــلْءَ الجفونِ
في انســكابٍ يَغُصُّ مــن كِبْرِيَائي واضطرابٍ يرتاعُ مِنهُ سُــكُوني
يــا دمــوعَ الوفــاءِ أَنْتُــنَّ أَغْلَى أن تُرَقْرِقْــنَ للوفــاءِ الغَبــينِ[1]

* * *

١- الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَــقَ القلبُ الذي مَسَّــتَ يَداكِ جانبيــهَ؛ في جنــونٍ واضطرابِ
أكــذا يَهْتَاجُنِــي مَــسُّ هــواكِ وأنا الهادِئُ في مَورِ العُبابِ؟![1]

* * *

عجباً ! مــا السّــرُّ في خفقته.. ؟ إنــني أسْــأَلُكِ السّــرَّ الدفــينْ
أنــت أدْرَى بالــذي أودَعتــه فيــه من حبٍّ، ووَجْــدٍ، وحَنِينْ!

* * *

إن قلــبي لم يكــنْ يَنْــزُو ، فماذَا سَالَ في كفّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبْ؟
أهــو اللُّغْــزُ الذي تَحْويــنَ هذا؟ أم هي الفتنــةُ في مِفْتَاحُ القُلُوبْ؟

* * *

إيه !. إني في اضطرابي قَدْ نَسِــيتُ مَبْعَــثَ الفتنــةِ عينيــكِ تْــينِ!
تُضْمِرَانِ السِّــحْرَ يُحيي ويُميتُ ؟ وهمــا سِــرُّ اتصــالِ المُهْجَتَيْــنِ

* * *

سِــحْرُكِ المجهولُ أَمْسَكْتُ عَصَاه! فــإذا شــئتُ اتقــاءً أَتَّقيــه!
لكن السِّــحْرَ الذي تَاهــتْ رُقَاه إنــني أهفُــو إلى الإخــلادِ فيه

* * *

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرّك الأمواج.

قبلة*

أهــي النَّشْــوةُ أم وَقْــدةُ جَمْــرٍ إنني أحســتُها تذكُو بِصَدْرِي[1]
وبِرُوحــي لَهْفَــةٌ تَبعثُهــا هذه القبلــةُ من أعــذبِ ثَغْــر
قُبْلَــةٌ ! مــا هــذه القُبْلَــة إذ تنقــلُ الدُّنيــا إلى عــالمِ سِــحْرِ
وتُحيــلُ الجســمَ والــرُّوحَ معــاً شــعلةً طائفــةً لم تَسْــتَقِرِ
بل تُحيلُ الجســمَ والرُّوحَ شَــذىً من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْــكَةِ طُهْــرِ

* * *

لم أُحِــسّ الــرُّوحَ مــنى مُثْقَــلاً بهمومِ الجســمِ إذ هَوَّمَ يَسْــرِى
لم أُحِــسّ العُمْــرَ إلا خَفْقَــةً في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى
وأرى الماضِــى أَضْحَــى لحظَــةً بعد ما قَــدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهري
وتطلَّعْــتُ بعــينِ المُنْتَشِــى لجمالِ الكونِ في نَشْــوةِ سُــكْرِ

* * *

أهــي القُبْلَــةُ مــن ثَغْــرٍ لثغرٍ ؟ أم هــي الخَطْرةُ مِــنْ وَحِى لفكْرِ
أم تُراهــا قُبْلَــةَ النــورِ الــتي فاضَ منهــا النــورُ في أولِ فَجْرِ
حينمــا رفــرفَ والكــونُ دُجَىً رُوحُ ربّ الكــونِ في لُجَّــةِ غَمْرِ
فتجلّــى النــورُ في بَــرٍّ وبَحْــرٍ وتَراءى الحُسْــنُ في طيرٍ وزَهْــرِ

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعي الحياة*

يَخفُـقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّـفاه مُنـذُ أن ضَمَّتْكِ في شَـوْقٍ يَداه
مُنـذُ أن رَنَّ صَداهـا ، قُبْلَـةً نَهلَـتْ منهـا وعَلَّـتْ شَـفتَاه
وارتـوتْ رُوحَاكُما بَـلْ ظمئت برحيـقِ القُبُـلاتِ المشـتهاه
بَلْ رحيـقُ الخُلْدِ قَدْ طَـابَ جَنَاه وسَـرَى فيـه حُـلاه وشَـذَاه

* * *

يَخفُـقُ القلبانِ؛ بل تَهفُو الشّـفاه حـينَ يَلْقَـى ناظِرْيـك نَاظِرَاه
حينمـا يَسْـتَعِرُ الحـبُّ جَـوىً يَكْتوى القلبـانِ مِنْ حَـرِّ لَظَاه
فَيُرجـي كلُّ ثَغْـرٍ قُبْلَـةً هـي بـردٌ للحنَايـا والشِّـفَاه
مثلمـا يَطْلُـبُ رَيَّـا ظَامِـىءٌ ينظـرُ المـاءَ ولا يَبْلُـغُ فَـاه

* * *

يخفُقُ القَلْبـانِ؛ بل تَهفُو الشّـفَاه كلمـا بَشَّـرَ بالحـبِّ الهُـدَاه
كلَّمـا نَـادَى حَـيْ هَـلا يَقْطِـفُ المحرومُ ما طَـابَ جَنَاه
مَـا لِمَحْرومَيْـن لم يَسْـتَمِعَا ذلك الصـوتَ الذي دوَّى صَدَاه
إيه هيـا؛ فَلْنُجبْ دَاعِي الشّـفاه فهوَ داعِي الحبِّ؛ أو دَاعِي الحياهْ

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَـفَتَاي تَخْتَلِجَـانِ للتقبيـلِ؟ في كلِّ مُطَّلَـعٍ لديـك جميـلِ
ظَمَـأُ الشّـفاهِ طبيعـةٌ أَلْهِمْنَهـا منـذ ارْتَوَيْـنَ بثغرك المَعْسُـولِ
ظَمَـأٌ تُؤَجِّجُـه القلـوبُ خَوافقاً تَنْـزُو بعـارِمِ لهفـةٍ وغليـلِ
من يومِ ما التقَت الشّـفَاهُ فَحدَّثَتْ عـن حُبِّنـا بسـواحِرِ الترتيلِ!
أفتذكرينَ وقـد ضَمَمْتُك والهوى يُغْـرى ويُوقِظُ خَاطِـرَ التقبيلِ؟
والكـونُ يُمْسِـكُ خَفْقَـه مُنْتظراً قبلاتنـا في لَهْفَـةٍ وذُهـولِ
هُـو عاشـقُ القُبـلاتِ! إنّ رَنينَها لَحْـنٌ يُنَبِّـهُ فيـه كلَّ خُمُـولِ
وهـي الحيـاةُ إذا تُحيّـى قُبْلَـةٌ رَمْزاً علـى الترحيـبِ والتأهيلِ
أفـلا نَـردُّ علـى الحيـاةِ تحيـةً مَا عقّهـا في الكـونِ أيُّ بخيلِ؟
أفـلا نُرَجِّـعُ غِنْـوةَ التقبيـلِ! وتحيـةَ الدُّنيـا لخـيرِ نَزيـلِ؟[1]

* نشرت ١٩٣٤.
١- النزيل: الضيف

الخطر

بـــينَ التلفُّـــت والحَـــذَر خَطَـــرتْ تُبَشِّـــرُ بالخَطَـــرْ!
بُشْـــرَى! فمـــا دامـــتْ هُنَـــا فعـــلامَ تَقْرُبُنـــا النَّـــذُرْ!
وتشـــيرُ للمتنظِّريـــ ـــن إشَـــارةَ اللَّبِـــقِ الحَـــذِرْ!
لتضيـــعَ مـــني قُبْلَـــةٌ لبثـــتْ بفيهـــا تَنْتَظِـــرْ!
ولبثـــتُ أرقُـــبُ قَطْفَهـــا مـــن بَعْـــدِ مـــا نَضَـــجَ الثَّمَـــرْ
هـــو ذاك يـــا قلـــبُ الخَطَـــر لا الناظـــرونَ ولا النَظَـــرْ

* * *

صَنَـــعَ الشـــبابُ صنيعَـــه والحـــبُّ في الحُسْـــنِ النَّضِـــرْ
فمضَـــى يَتيـــهُ تخايـــلاً فـــإذا تَلَطَّـــفَ يَعْتَـــذِرْ!
ويَلُـــوحُ حـــتى ننتَشِـــي ويغيـــبُ حـــتى نَسْـــتَعِرْ
ويـــروقُ حـــتى لا نَـــرى شمســـاً سِـــواه ولا قمَـــرْ
ويَـــرِقُّ حـــتى لا نَـــرى طـــيراً ســـواه ولا زَهَـــرْ
ونَطِـــيرُ في نَشَـــوَاتنا نَهفُـــو إليـــه وننتظِـــرْ
فَـــإذاهُ آنـــاً يعتـــذرْ عَنّـــا وآنـــاً يســـتترْ!
هـــو ذاك يـــا قلـــب الخَطَـــرْ لا الناظـــرونَ ولا النَظَـــرْ!

* * *

تِـــه أيُّهـــا الحُسْـــنُ الأغَـــرُّ وامـــرحْ بنَفْســـك وازْدَهِـــرْ
مـــا الحُسْـــنُ إلا شُـــعْلَةٌ تَخبُـــو إذا هِـــي لم تُثَـــرْ
مـــا الحُسْـــنُ إلا طَائـــرٌ يَهـــوِى إذا هُـــو لم يَطِـــرْ
مـــا الحُسْـــنُ إلا قُـــوةٌ تَعْيَـــا إذَا لم تَقْتَـــدِي
أمّـــا الذيـــن أسَـــرْتهم بـــينَ التـــبرُّجِ والخَفَـــرْ[1]
فعليهـــمُ أن يَعْلَمُـــوا يـــا حُســـنُ مـــن أيـــن المَفَـــرْ
أو يَســـتَنِيموا للخَطَـــر وبحســـبِهم مِنـــكِ النَظَـــرْ

* * *

١- الخفر : الحياء.

يقظة*

سَـهِرْتِ؟ إذنْ تَعالَـيْ حَدِّثِـيني بما أحْسَسْـتِ من حَـرَقِ الحنينِ
فقـد جربتُـه سـهرَ الليـالي وقـد خَبَـرْتُ تسـهيدَ الجفونِ
وأعْلَـمُ أن مبعثَـه غَـرامٌ يَـؤُزُّ جوانبَ القلـبِ الحَنُونِ[1]
ويَقْظَـةُ حـالمٍ تَسْـمُو مُنَـاه عـن النُّـوامِ في دُنيا السـكُونِ
فَهَـلْ أحْسسـتِه حُبًّـا كهـذا فبـتِّ الليـلَ سَـاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

ومـا أبْغـي لـكِ السُّـهدَ المُعَنّى ولا الحُرُقاتِ سَـاعرةَ الشُّـجُونِ
ولكنّـي أريـدُ نشـاطَ حُـبٍّ ويقظـةَ عاشـقٍ جَمّ الفُتـونِ[2]
فنوقـظُ هـذه الدُّنيـا خلـوداً ونَسْـمُو عـن تقاليدِ السـنينِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يؤز: يزلزل.

٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيِّـمَ الليـلُ فَنامـي في هُـدوءٍ وسَـلامِ
رَفَّ مِـنْ حَولـكِ قَلـبٌ عَلّـم الحـبَّ التَسَـامي
أو فَـإنَّ الحـبَّ نَقَّـاهُ بوحـي مِنْـه سَـامِ
فهـو يَحْيَـا في سمـاءٍ مِـن أمَـانٍ ومَـرَامِ
وهـو يَسْـري في وَسِـيعٍ مِـن رجـاءٍ مُتَـرَامِ
يَشْـمَلُ الدُّنْيـا بعطـفٍ ورِضَـاءٍ وابتسـامِ

* * *

خَيِّـمَ الليـلُ فَنامـي في هـدوءٍ وسَـلامِ
رَتِّـلَ الحـبَّ رُقَـاه في سُـكُونٍ لِتَنامـي
رُقْيَـةُ النـومِ وأُخْـرى للـرُّؤى بعـدَ المَنَـامِ
ودُعَـاءٌ لـكِ بالبِشْـرِ غَـداً عنـدَ القيـامِ
وتَعَاويـذُ مِـن الشَّـرِّ لعـامٍ بعـدَ عَـامِ
رُقْيَـةٌ في إثْـرِ أُخْـرَى مُشْـرِقَاتٌ في الظَّـلامِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهـا الحـبُّ فَـلا تَنْـسَ دُعـاءً بالـدوامِ
وتعاويـذٌ لقلبينـا لِصَـدٍ أوْ سَـآمِ
أو فَعَوِّذْهـا ودَعْنـي لِتعاويـذِ غَرامـي
وإذا شـئتَ فَعَـوِّذْ نِي مـن فَـرْطِ هُيامـي
ومِـنَ اللهفـةِ تَطْغَـى في فـؤادي كالضِّـرَامِ![1]
واجعـلْ الدُّنْيَـا سـلاماً وارْوِ يـا حُـبُّ أُوَامـي[2]

* * *

١- الضِّرام: النار الملتهبة.
٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيـشُ نِضْو تَرقُّبِ أُزْجِي حَياتي كالأجـيرِ المُتْعب[1]
أرنُـو إلى الإِصْبَـاحِ ثم تَمُجُّـه نَفْسـي وأنظرُ كارِهاً للمَغْيب[2]
وأُحِـسُّ بالقفـرِ الجديـبِ يَلُفُّني ويَجُوسُ في نفـسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ
ولو أنمـا اختصرت حيـاتي لم أبل بَـلْ لم أحسُّ بنقصهـا أو أعْيب
وإذَا تَشَـابَهتِ الحيـاة وأقفرتْ مُجَّـتْ بِرُمَّتِهـا، ولَـمْ تُتَطيب

* * *

واليومَ. آسَـفُ للدقائـقِ تَنْطَوِي من عُمْرِي الغَـالي الثمينِ الطَّيب
واليـومَ أرْقُبُهـا وأرْقُـبُ خَطْوَها فأعيشُـها مِثْلَين بَعـدَ تَرَقبذث
وهـي العميقـةُ كالخلـودِ وإنما تَمْضِـي حَثِيثاً في خُطَـا المُتوثب
وأودُّ لـو هـي أبْطَـأتْ وتلبَّثَتْ في خَطْوِها لَيْثَ الوَئِيـدِ المُكْثِبِ
تَغْلُـو الدقائـقُ في حيـاةٍ خِصْبَةٍ وتهـونُ أَعْـوامٌ بِعُمْـرٍ مُجْدِبِ

* * *

الحبُّ فَـاضَ على الحيـاة بخصْبه وأجَـدَّ عُمْراناً بـكلِّ مُخَرَّب[3]
وأزَاحَ أسْـتَارَ الدُّجَى فتكشَّـفَتْ ظُلُمَاتُـه عـن كلِّ زَاهٍ مُعْجـب
وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيـاةُ وتَجْتَلي وتَعزُّ سـاعاتُ الغَـرامِ المُخْصِب

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.
٢- تمجه: تلفظه كارهة.
٣- أجَدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنَّي وامْلئي الدُّنيا نشيدَا وحَيِّي ذلك الكونَ الجديدَا
فإنَّ الحُبَّ أبْدَعَه؛ وإني نَظمْتُ على بَدائعه القَصيدَا
أجَلْ حيِّيه فهو لنا، وإنَّا لَنَعْمُرُ كَوْنَنَا عُمْراً سَعيدَا
نعيشُ مَعيشَةَ الطُّلَقاءِ فيه وكونُ الناسِ يُثْقِلُهم قُيودَا
وَنَمْلكُه وَما الأحياءُ إلاَّ أجيري هذه الدُّنيا عبيدَا
وَنَبْذُرُ فيه آمالاً وضاءً فَيُنْبِتُ غَرْسُها الطَّلْعَ النَّضيدَا

* * *

تَغَنَّي بالرجاءِ وبالأمَاني وبالنُعْمَى تَدومُ لَنا خُلُودَا
ومِنْ فِتَنِ الحياةِ خُذي الأغَاني ومِنْ خَفَقَاتِها صُوغي النَّشيدَا
ومِنْ شِعْري؛ فقد نظَمْتُ فيه أهازيجَ الهَوى لَحْناً فريدَا
فما أحْلَى الغِنَاءِ بِعَذْبِ شِعْرٍ نحيِّي فيه عَالَمَنَا الوَليدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَمْ أُحِبُّكِ للسَّنَا والنُّور وَلِحُسْنِ وجه في الحياةِ نَضير
ولسحْرِ رُوحِكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهى مِنِّي فَأَتْبَعُه اتِّبَاعَ سَحِير[1]
ولَمَّا تَضَمَّنْت الجمالَ فأفصحتْ بك منه سَاحرة مِنَ التعبير
ولما مُنِحْت، وما مَنحت من الهوى للكونِ؛ أو أحييْت مِنْ مَقبور
إنْ لَمْ أُحِبُّكِ حُبَّ مفتونٍ ولا حُبَّ الأسيرِ؛ إذَنْ فَحُبُّ شَكُور

* * *

حُبَّ الذي أحييْت فيه حَيَاتَه مما لديك من الحَيا المَذْخُور
ووهبته مُلْكَ الحياة وطَالَما قَدْ عَاشَها كالعَامِلِ المَأْجُور
ومَنَحْته مَاضيه بعدَ ضَيَاعه وأعَذْتِ قَابلَهُ مِنَ المَحْظُور
حُبَّ الذي أشْرَقْت في وِجْدَانه فجلوتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُور
ونَفَخْتِ في عَزَمَاته فتوهَّجَتْ وسَمَتْ لكلِّ مُمَنَّعٍ وخَطير

* * *

أوْ فَلأُحبُّكِ حُبَّ مَنْ ألهمته شِعْراً يُضيء سَنَاه كلَّ شُعور
شِعْراً جمعت من الحياةِ زُهورَه ومن الجمالِ نَفَحْته بعبير
ومن الضياءِ وهبته آمالَه ومن النَّدَى حِلْماً كوجه غَرير
وبعثته وَحيَ الحياةِ وفَنَّها تجلُوه ضِمْنَ جمالِها المَأثُور

* * *

أفلا أُحبُّكِ؟ إنّها لَفَريضةٌ حُبَّ الشّكُورِ لواهبٍ مَشْكُور

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَـةُ الحبِّ من صنيعِ السَّـماءِ وهي صِنْـوٌ لعِصْمَـةِ الأنبياءِ[1]
يُخْطِـئُ الناسُ في الحياةِ اسْـتِبَاقاً للـذَاذاتٍ قبـلَ يـومِ الفَنَـاءِ
وصِرَاعـاً مـا بينَ جسـمٍ ورُوحٍ في شَـتيتِ الآمـالِ والأهـواءِ
وَلَـوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُـوا الخُلْدَ أوَ انَّ الأرْواحَ مَحْـضُ صَفَـاءِ
لَتَسَـامَوْا عَـنِ الخَطيئَـةِ كالقَيْدِ وعَاشُـوا مَعيشَـةَ الطُّلَقَـاءِ

* * *

وغَنَـاءٌ عـن الخُلُـودِ غَـرَامٌ هـو رَمْـزٌ وَوَصْلَـةٌ للبقـاءِ
وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ ويُضْفِـي عليه ثَـوْبَ الضيّاءِ[2]
هُـو نـورٌ ومـا الخطيئَـةُ إلاَّ ظُلْمَـةٌ أو خَليفَـةُ الظَّلْمَـاءِ
وهُو يَسْـمُو عن الزمـانِ ومَا قَدْ يَقْتَضِيـه الزمـانُ مِـنْ أخْطَاءِ
هُـو خُلْـدٌ، ومـا الخطيئَـةُ إلاّ بعـضُ وَحْـيِ الفَنَـاءِ للأحْياءِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- الصنو: المثيل والنظير.
٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسد

الانتظار الخالد*

أنـا بانتظـارِك مـا أُبالـي رِضـي الهـوى حُكْـمَ الجَمالِ!
غيـبي إذَنْ أو فَاحْضُـري أنـا قَانِـعٌ في كلِّ حَـالِ!
رَاضٍ بأحلامِـي الـتي تُضْفِـي عليـك حَلْـيَ الجلالِ
لسـتِ الملومَـةَ إنـني أنا رشْـتُ أجْنحَةَ الـدَّلالِ![1]
مَـا للجَمَـالِ مَتَـى بَـدَا إلا التَّخَشُّـعُ في ابتهـالِ

* * *

أنـا بانتظـارِك في الشُّـروقِ وفي الغـروبِ وفي الـزَّوالِ
أنـا بانتظـارِك حـين أصْحُـو طَلْعَـةً مِثْـلَ اللآلـي
أنَـا بانتظـارِك حـينَ أغْـ ـفـو طائفـاً مِثْـلَ الخيـالِ
وإذا قربـت تَطَلَّعَـتْ نَفسِـي إلى القُـرْبِ المُوالـي!
وإلى التَّمـازُجِ بيننـا حَنْـيَ النحـور إلى كَمَـالِ
هـو ذاك سِـرُّ تَنَظُّـري أبـدا إليـك؛ فمـا احتيالـي؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- رشتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُكَ أيُّها الحبُّ كراهةَ مُحْنَقٍ غاضِبْ
وضَجَّ بِهَوْلِكَ القلبُ وما تَبْلُوه مِنْ وَاصِبْ[1]

* * *

كَرِهْتُك حَيْرةً كُبْرى جحيماً كلُّه حَرَقْ
كَرِهْتُك لهفةً حَرَّى وشوقاً كلُّه نَزَقْ

* * *

كَرِهْتُك رِيبةً فينا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَذِّبُ ما بأيدينا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتك غُلَّةً[38] ظَمِئتْ ولا رِيٌّ ولا مَاءْ
وَوَقْدَتُها قد اشتعلتْ وفي التلطيفِ إذْكَاءْ

* * *

كرهتك سَهدَ أجفانٍ وصَحْواً في الدُّجَى المُبْهَمْ
كرهتك مَهدَ أشْجَانٍ ومُذْكِي وَقْدِها المُضْرَمْ

* * *

* نشرت ١٩٣٤.
واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتك شُغْلِيَ الشَّاغِلْ وآمَالِي وآلامِي
وماضِي العُمْر والآجِلِ ولَيْلَاتِي وأيَّامِي

* * *

كرهتُك دورةَ الزَّمَنِ بلا حَدٍّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصَّحْوَ بالوسنِ بإحساسٍ لَنا شَاغِلْ

* * *

كرهتُك لستُ موقوفاً على حُبٍّ يُقَيِّدُني
كَرِهْتُ العيشَ مَلْهُوفاً على أملٍ يُسَوِّفُني

* * *

وداعاً أيُّها الحُبُّ كرهتك فارتحِلْ قُدُمَا
كرهتك لم يَعُدْ قَلبٌ بصدري يَحْمِلُ الألَمَا

* * *

سَأحيا خَامِدَ الحِسِّ فلا حُبٌّ ولا أمَلُ
سَتخْبُو شُعْلةُ النفسِ ويَمضِي ذلك الأجِلُ

* * *

نكسة!*

خَفَقْتَ يا قلبُ ! . ماذَا أَنكْسَةٌ مِنْ جَديدْ؟[1]
تَوثُّبَ الحبّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكّ القيودْ

* * *

يا قلبُ ماذَا أَثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنينَا؟
وقد خَلَعْتَ إسارَك وعِشْتَ كالناسِ حِينَا[2]
أو عشتَ كالهادئينَا !

* * *

لَقيتَها يا فُؤادى أَنكْسَةُ الحبّ لَقْيَا؟
كالنارِ تحتَ الرَّمادِ ما يلبثُ الحبُّ حَيَّا
ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يا قلبُ فَاذكرْ عَذَابَك في الشكّ أو في اليقينِ
فهل نَسيتَ اضطرابَكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[3]
وبين سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.
٢- إسارك: قيدك.
٣- القلى: البغض والهجر.

وبينَ إنْ قِيلَ غَابَتْ أو قِيلَ : الآن تَأتِى!
وبينَ فَوزٍ مُبَاغِتْ أو حسرةٍ بعدَ فَوْتِ
وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

* * *

أراكَ يا قلبُ لَمَّا تَسمَّعْ، ولم تَتَذكرْ
وما تحاوُل كَظْماً لِخَفقِكَ المُتَسعّرْ
وما تريدُ التدبُّرْ

* * *

عَلَيْكَ يَا قلبُ وِزْرَكَ فاخفقْ إذَنْ بَلْ فَخَاطِرْ؟
فليس يُجْدِيك حَذَرُكَ إذَا هَمَمْتَ تُحَاذِرْ
خاطرْ بنفسك خَاطِرْ؟

* * *

على أطلال الحب *

تَفَـرَّدَ ذلـك الطَّلـلُ وطـافَ بركنـه الوَجَـلُ
يُغَشّـى اليـأسُ صَفْحَتَـه ويُبْـرِقُ تحتَـه الأمـلُ
وتهْمِـسُ حولَـه الذّكْـرَى فتلمـعُ بينهـا الشُّـعَلُ
جَفَـاه أهلُـه مَلَـلاً فَخَيَّـمَ فوقَـه المَلَـلُ
عَزِيـزٌ عَهْدُهـم فِيـه عزيـزٌ أَنْـتَ يَـا طَلَـلُ

* * *

بَنَـاه خَـيرُ بَنّـاءٍ بَنَـاه الحـبُّ مُبْتَدِعـا
وبَـثَّ عَلـى جَوانِبـه مَفَاتِـنَ تَفْتِـنُ الوَرِعَـا
وأطْلَـقَ حَولَـه سِـحْراً يَبُـثُّ الشَّـوقَ والوَلَعَـا
وأَنْشَـدَ باسِمِـه شِـعْراً مِـنَ الآمـالِ مُنتَزِعَـا
وظَلّـلَ أَهلَـه الأمـلُ فمـاذا جَـدَّ يـا طَلَـلُ ؟

* * *

* نشرت ١٩٣٤.

خريـفٌ بَاكِـرٌ حَـلاَّ خريـفٌ الحُـبّ والعُمْـرِ
فَحَطّـمَ كُلَّ شَـامِخَةٍ علـى الأحـداثِ والدَّهْـرِ
وعَطَّـلَ كُلَّ فَاتِنَـةٍ مِـن الإِغْـرَاءِ والسِّـحْرِ
وأبْطَـلَ كلَّ سَـاحِرةٍ وأسْـكَتَ نَغْمَـةَ الشِّـعْرِ
فَعَـادَ بِنَـاؤُه طَلَـلاً فَوَيْحَـكَ أيُّهـا الطَلَـلُ
دَلَفْـتُ إليـه مَلْهُوفـاً تُحُـثُّ حَنيـني الذِّكْـرَى
فَأطْـرَقَ لا يُحَدِّثُـني وأرْسَـلَ زَفْـرةً حَـرَّى
وَجَـدْتُ لِوَقْدِهـا لَذْعـاً كَأني أَلْمِـسُ الجَمْـرَا
وتاهـتْ نَفْسـي الوَلْهَـي وأَسْـرَتْ رُوحِـي السِّـكْرَي
وقُلْـتُ وقَـدْ نَـزَا أَلَمِـي «فِـداكَ الكـونُ يَـا طَلَـلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُهـا لم تَـزلْ فَائِـرَه ونكهَتهتُـا لم تَـزالْ عَاطِـرهْ
أُحِـسُّ حرارتَهـا في دَمِـي كمـا تَصْـرُخُ الشـعلةَ الثَّائِرهْ
أنْشَـقُ نَكْهَتَهـا كالشَّـذَى يفـوحُ مـن الزهـرةِ النَّاضِـرهْ
وتخطـرُ رَيَّانَـةً في فَمِـي كمـا يَخْطُـر الحُلْـمُ بالذَّاكِرة
وبـينَ يَـدِيَّ صَـدَى ضَمَّـةٍ تَـردَّدُ كالنَغْمَـة السَّـائِرةْ[1]
أجَلْ! لَيْسَ هَذَا الذي قد ضَمَمْتُ سِـوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عَابِـرَة
أذلـك جِسـمٌ ! فأيـنَ الخيالُ وأيـنَ عَرَائِسُـه النَّافِـرةْ؟
تَقَدَّسْـت مِـنْ قُبْلَـةٍ قَدَّسَـتْ مُنَـاي وأوْهَامِـي الحائِـرهْ
وأَزْكَـتْ حَياتِـي وإنَّ الحيـاةَ هِـي الفتنـةُ الحيّـةُ الطَّائِـرهْ
أجلْ هِـي أطْهَرُ ما فِـي الوجودِ فمـا الرِّجْسُ إلاّ القُـوى الخَائِرةْ
لَمَسْـتِ مـا كانَ في خَاطِرِي خيـالاً وأُمْنِيـةً طَائِـرهْ
وقَرّبْـتِ لِلَّمْـسِ مـا لم تَكُـنْ تُقَرّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطِـرهْ
وَأَسْـرَيْتِ بالـرُّوحِ في لَثْمَـةٍ تَحُـسُّ بِهـا الشَّـفَةُ الشَّـاعِرهْ
أَمُعْجِزَةٌ أَنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسـمِ وبـينَ القُـوى الطَّافِـرهْ ؟[2]
قُـوى كلّ هَيْكلِ هـذا الوجودِ كذلـك قـدِرْتِ يـا قَـادِرَهْ !

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.
١- السائرة: المنتشرة.
٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّـي لأغْمِـضُ فِـي نَشْـوةٍ وأُمْسِـكُ أَنْفَاسِـي السَّـاعِره
وأَخْطَرُهَـا قُبلَـةً في فَمِـي فَأَسْـمَعُ أَصداءَهـا السَّـاحِرهْ
وأَسْـتَرْجِعُ اللحظـاتِ القِصَارِ فَأُلْفِـي بِهـا صُـوراً وَافِـرهْ
وأَعْرِضُهـا مَنْظَـراً مَنْظَـراً كمـا عُرِضَـتْ قبـلُ لِلبَاصِرهْ
ثَـوانٍ تَرَكَّـزَ فيهـا الزمـانُ تُبَـارِكُ دُنيـاي والآخِـرهْ

* * *

غنيّ ... ؟!*

غنيَّةٌ أنـــت بالتعبير قـــد ذَخَرَتْ أطـــواءُ نفســـكِ منـــه زادَ أَحْقَابِ
وهَبتـــني مِنْـــه أشـــتاتاً منوّعـــةً وزدتـــني منـــه في وجودٍ وإسْـــهابِ
في كل جَارحـــةٍ عُنـــوانُ مَلْحَمَةٍ مـــن الحديثِ ، وســـرٌّ جِـــدُّ جذّابِ
تقـــصُّ تاريخَهـــا في فـــنّ راويةٍ منسَّـــقِ النَّبْرِ ذي لحـــنٍ وإطرابِ[1]
وإنَّ تاريخَهـــا أُقْصُوصـــةُ جمعتْ تجـــاربَ الكـــونِ في أحـــلامِ أربابِ
تجاربُ الكونِ في ســـحرٍ وفي فِتَنٍ من نُضْرةِ الرَّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَابِ
ومِنْ سَـــناءِ الـــدَّراري في تألُّقِها ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجَى الخَابي[2]
ومِنْ غُموضِ الصَّحَارى في مَجاهِلِها والعيلمُ الرَّحـــبُ يَطْغَى جِدُّ صَخَّابِ
ومن صِيـــالِ الضَّواري في تَقحُّمِها ومن أغاريـــدِ أطيـــارٍ وتَنْعَـــابِ[3]
وفرحـــةُ الظَافرِ النَّشـــوانِ خَافِقَةٌ تختـــالُ مُعْجَبـــةً في خَطـــوِ وثّـــابِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدّراري: مفردها دُرِّيّ: وهو كوكب لامع.

٣- التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هـــذا حديثُـــكِ بينَا أنـــتِ صَامتةٌ وَعَيْتُـــهُ كلَّه في صَمْـــتِ مِحْرابِ
فهلْ بلغتُ مدَى مـــا أنتِ زَاخرةٌ من التجاربِ في خَلْـــقٍ وإنْجابِ ؟
لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سوى طَرَفٌ من الحديـــثِ على وَفْـــرٍ وإطنابِ
وخَلْفَ ذلـــكِ كَنْزٌ كُلُّـــه طُرَفٌ يزيـــدُ مَذْخُـــورُهُ في كـــفِّ وهّابِ
وإنَّ عِنْـــدكِ مـــا تُعطينـــه أبـــداً للســـائلينَ بإفْصَـــاحٍ وإغْـــرابِ

* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ مِنْ خَبرٍ مُسَلْسَـــلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟
وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَست للأمْنيـــاتِ فلبَّتْ بِضْعُ أسْـــرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى يَسْـــرِي الهوينى شَفُوفاً بينَ أَهْدابِ ؟
والثغـــرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ في صمتِه العَذْبِ، بل في سِحْرِه السَّابِي[1]
وإن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَســـمتْ من بعد ما نَضَجَت ، لِلاثِمِ الصَّابِي[2]

* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجسمُ قد خَفَقَتْ فيه الحياةُ ، وتَاهـــتْ تيهَ غَلاَّبِ ؟
يقولُ مـــا تعْجَـــزُ الدُّنيـــا برُمَّتِها عـــن أن تقولَ بتصويـــرٍ وإعرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَـــنِّ الحياةِ حَوتْ جَميعَ ما تُبـــدِعُ الدُّنيا لإعْجَابِ
غنيـــةٌ أنـــتِ بالتعبيرِ قَـــد ذخرتْ أطواءُ نَفْســـكِ منـــه زادَ أحقابِ

* * *

وحي جديد *

في خفّةِ الطيْرِ في نُضْرَةِ الزّهْرِ
لا قيتُها عَرَضاً بَسّامةَ الثّغرِ
فتّانةٌ تُغري بالسّحرِ والطُّهْرِ
تَهْفُو فَتَحْسَبُها لحناً هَفا يَسْرِي
في لَفْتةِ الجيدِ في خَفْقةِ الصَّدْرِ
«تَقْسيمُ» موسيقا أمَنْغُومةِ النّبْرِ

* * *

يا بَسْمَةَ الفَجْرِ يا نَفْحَةَ العطْرِ
أسْكَرْتِ وِجْدَانِي مِنْ لَوْنِكِ الخَمْرِي
أَلْهَبْتِ إحْسَاسِي بالشّوقِ كالجَمْرِ
وَهَمسْتِ في قَلْبِي وهَتَفْتِ في صَدْرِي
وبَعَثْتِني أَشْدُو للحُبّ بالشّعْرِ
وكأنّني رُوحٌ تَقْفُو خُطا سِحْرِ
مَفْتُونَةً ترنُو للكونِ في سُكْرِ
والكونُ يَشْمَلُها بالأنْسِ والبِشْرِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبي لِمَا ألْقى مِنْ لُغْزِكِ السِّحرى!
وَحْيٌ يُوَسْوِسُ لي في السِّرَّ والجَهْرِ
حوَّلتِ عُمْري من شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبَّبْتِني، عَجَبَا! في عيشَةِ الوَكْرِ
قد كنتُ أرْهَبُها كالنَّابِ والظُّفْرِ!
وإخَالُها شَرَكاً في البَرِّ والبَحْرِ!
إذ كنتُ أدْمَغُها بالشَكِّ والغَدْرِ
فملأتِني ثِقَةً بجمالِها المُغْرِي
ورسمتِ لي صُوراً لفراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فَنُطْعِمُها بحَنانِنا النَّضْرِ
ونَرِيشُ أجْنحَةً مِنْ ريشِها النَّزرِ
فَتَطِيرُ هَازِجَةً في جَوِّنا الشِّعرى
وتؤوبُ وَادِعَةً للعُشِّ كالطَّيرِ!

* * *

يَا فِتْنَتِي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إنْ تَأذَنِي أضْحَى شَطراً مِنَ العُمْرِ
فَهبِي لي رُوحاً من رُقْيَةِ الثُّغْرِ
هي قُبْلَةٌ تُمْضِي مَا شِئتِ مِنْ أمْرِ
وكأنّها قَدَرٌ بسعَادتي يَجْرِي

* * *

أكذوبة أسوان*

بعد عام أحس في نفسه بالسُّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سِمَةٌ من الجمال الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاه وإذا هو يَهْفُو إلى الماضي، والماضي وحْدَه دونَ سِواه.

الآن أعْلَمُ أنّ كلَّ خَواطِري ... تَهْفُو إليكِ كَرَفْرَفاتِ الطَّائِرِ[1]
ما كان سُلْواني سِوى أُكْذُوبَةٍ ... خُدِعَتْ بها نَفْسي خَديعَةَ شاعِرِ
بَيْنَ الشَّغافِ وفي مُنايَ وفي دَمي ... ألقاكِ هَاجَّةً وبينَ سَرائِري
أنْساكِ؟! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِحي ... شَطْرِي الجَميلُ وأنْتِ وَحْيُ خَواطِري؟
أنْساكِ والآمالُ والذِّكْرى معاً ... مَوْصُولةٌ بكِ في صَميمِ مَشاعِري؟
وإذَا هَفَوتُ إلى الجمالِ فإنّما ... أهْوى مَثالَكِ في الجَمالِ العَابِرِ
أنْساكِ إذْ أنْسَى حَياتي كلَّها ... فإذا حَيِيتُ فأنْتِ أولُ خَاطِرِ
نَبَضَ الربيعُ فَكُنْتِ أولَ نَابِضٍ ... في خَاطِرِي يهفُو وأوّلَ زَائِرِ
وهفوتُ للماضِي الذي قد أوْدَعَتْ ... نَفْسِي لديهِ رَغَائِبِي وذَخَائِرِي
أنا ذلك الماضِي الذي لا يَنْقَضِي ... أنا ذلك الماضِي يعيشُ بخَاطِرِي!

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١- الرفرفة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سوى حُلْمٍ نَدِيٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشِعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أيُّها الحُلْمُ الذي كانَتْ حَياتي ... مِنْ حَوالَيه دُعَاءً وصَلاهْ
وتَسابيحَ وَعَتْهَا أُغْنياتي ... وانْتِشَاءً بأفَاويقِ الحياهْ[1]
أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَقَني ... مِنْ قُيودي نَحو آفاقٍ عَجيبَهْ
والَّذي في الصَّحْوةِ قَدْ طَوَّقَني ... بتَهاويلَ من الوَهْمِ حَبيبَهْ
أيُّها الحُلْمُ الذي طَهَّرَ نَفْسي ... بالعذابِ الحُلْوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والذي أفْعَمَ بالآمالِ كَأسي ... وحَباني بعدَ رُشدي بالغُرورْ!
أيُّها الحُلْمُ الذي رَدَّ عَليَّا ... نَزَقَ الطِّفْلِ وأهْواءَ الغُلامْ[2]
والذي نَدَّى بدَمْعي مُقْلَتَيَّا ... وعلى إثْرِ بُكائي الابتِسامْ!
أيُّها الحُلْمُ الذي جَسَّمَ وَهْمي ... فإذَا الأوْهَامُ في الدُّنيا حَقيقَهْ
تَتَجَلَّى في أحَاسيسي وَهَمِّي ... صِلَةٌ بالرُّوحِ والجِسمِ وَثيقَهْ
أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَعَها ... في حَياتي مِثْلَما تَطْلُعُ نَجْمَهْ
وأرَانيها كَمَا أبْدَعَها ... فِتْنَةً تَشْقَى بها الدُّنيا وَنِعْمَهْ

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م

١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.

٢- نزق: خَفٌّ وطاش.

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي هَيَّـأ لـي أنَّهـا في ذلـك الكـون فَريدَهْ
والـذي جَسَّـمَ فيهـا أمَلـي وأمانـيَّ اللَّهيفَـات الشَّـريدَهْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي ظَلَّلَهـا في خَيالـي بأعَاجيـب الظِّـلالْ
فبـدتْ حُوريَّـةً جَلَّلَهَـا ألَـقُ الطُّهْـرِ وإشْـرَاقُ الجَمَالْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي صَوَّرَهَـا كُلَّ يـوم صُـورَةً منْهـا طَريفَهْ
كلُّهـا تَبْـدُو – ومَـا أكْثَرَها – عَذْبَـةً جَذَّابَـةَ اللَّمْح شَـفيفَهْ
أيُّهـا الحُلْمُ الـذي جَمَّـلَ عِنْدي كلَّ ماعَـنَّ لَهـا منْ نَـزَواتْ!
والذي عَلَّـقَ وجْدَانـي وَجَهْدي بالـذي يَبْـدُو لها منْ بَـدَواتْ!
أيّهـا الحُلْـمُ الـذي أوْقَدَهـا شُـعْلَةً هَوْجَـاء تَذْكُـو في دَمي
كلّمـا تَلْمَـسُ كَفِّـي يَدهَـا تَلْمَـسُ النَّشْـوةُ قَلْبـي وفَمي!
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي كَانَ وكَانْ أينَ نَحْنُ الآنَ مـن هذَا الزَّمَانْ؟
أيْـنَ أنْـتَ الآنَ يَـا سِـرَّ حَياتي أينَ أنْـتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودي!
أينَ يَـا وَحْيَ نَشـيدي وصَلاتي؟ أيـنَ؟ في وَادٍ مـنَ الصَّمْت بَعيد
بيننَـا وَادٍ مـنَ البُعْـد سَـحيقْ بَيْنَمـا أنْـتَ هُنَا مـلءُ فُؤادي
كَإلـه حَوْلَـه الصَّمْـتُ العَميقْ وهُـو في كلِّ شُـعُورٍ وفُـؤَادِ
لـمَ يَـا حُلْـمُ قَـدْ أيْقَظْتَنـي فإذَا الصَّحْو خَـواءٌ[43] في خَواءْ
لـمَ يَـا حُلْـمُ قَـد فَارَقْتَنـي فـإذَا الكـونُ هَبَـاءٌ فـي هَبَاءْ
أيُّهـا الحُلْمُ تُـرى كُنْـتَ خِدَاعاً إيـه مَـا أصْدَقَه هَـذَا الخِدَاعْ!
أيُّهـا الحُلْمُ الـذي فَـاتَ وَدَاعاً ما الـذي نَمْلِكُه غيرَ الـوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْـلاك كالشـيطان أقْلاك أقْلاك كالسُّم يَسْري جَدِّ فَتّاك[1]
أقْـلاك: إنَّك في نَفْسـي وفي زَمَني وفي حياتـي أفْعَى ذَاتُ أشْـواك
سَمّمْتَ عَيْشـي وأحْلامي وَأخْيلَتي وأنت شـيطانة في سمـت أملاك
وعشْـتُ أرْعَاك في قَلْبي وأنْت بلا قلب يُحـسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك
مَنْ أنت؟ مَا أنـت؟ إنّي حَائرٌ قَلِقٌ أأنْتَ أُسْـطُورةٌ في سِفْرِ أفّاك؟[2]

* * *

أنْسَـى اللَّيالي الـتي قَضيَّتُها قَلقاً وأنـت سَـاكنَةٌ رَاضٍ مُحَيّـاك
أنْسَـى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً ولسـتُ لولا هَواك المُرُّ بالبَاكي
وكبْريائي التي مَـا كُنْتُ أخْفضُهَا منْ قبلُ أو بَعـدُ في دُنْيَاي لَولاك
أنْسَـى. وأذْكُرُ أحْلامي وأخْيلَتي كَأنَّهُـن نجـومٌ بـينَ أحْـلاك
وكلُّهُن نَسـيجُ الوَهْـم في خَلَدي ولَسْـنَ غـيرَ أحابيلٍ وأشـواك

* * *

أقْـلاك؟ لَيْتَ! فإني لَسْـتُ أقلاك أهواك؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْـتُ أهْواك
أهـوَى وأقْلَـى وأيامـي مُوزَّعَةٌ بينَ الهوى والقلى كالضَّاحك البَاكي
هذا الرّحيقُ وهذا السُّـمُّ قد مُزِجَا ولسـتُ أرْوَى بكأس غَـيرَ رَيَّاك
هَاتي لِيَ السُّـمَّ صِرْفاً لا يُمَازِجُه هذا الرحيقُ فإنّي لسـتُ بالشَّاكي
مَلَلتُ كَأسَـك لا ألتذّ نَشْـوَتَها ولا أُحطِّمُهـا تَحْطِيـمَ سَـفّاك

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.

١ – أقلاك: أكرهك.

٢ – أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَـذَا اللِّقَـاء كَأَنَّـه ذِكْـرَى مَكْنُونَـةٌ في عالَـم النَّفْـس
وكأنَّـه وَهْـمٌ أَجَسَّـمُه لا حَـادِثٌ في عَالَـم الحِـسّ

* * *

هَـذا اللِّقَـاءُ الخَاطِـفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّـف الأَنْظَـار في حَـذَرِ
كَخَيَالَـةُ الأَحْـلاَمِ، كالذِّكْـرَى في رِعْشَـةِ اللفتَـاتِ والصُّـورِ

* * *

أُخْتَـاه. وَاعجبـاً لَنـا! عُدْنَـا في هـذه الدُّنْيَـا غَريبَيْـن
عُدْنَـا إذا مَـا خِلْسَـةٌ سَـنَحَتْ نَمْضِـي علـى حَـذَرٍ كَلِصَّيْن!

* * *

ألقـاكِ مِثْـلَ الطيـف عَابِـرَةً وكأنَّ مَـا قَـدْ كَانَ مَـا كَانَـا
وكأنَّمَـا الأيـامُ مـا شَـعَرَتْ أنَّـا عَمَرْنـا قَـطُّ دُنْيَانَـا!

* * *

وتُفكِّريـنَ كَأَنَّمَـا افْتَرَقَـتْ مـن مَطْلَـعِ الدُّنيـا طَرِيقَانَـا
وتذكّريـنَ كأنّمـا اجْتَمَعَـتْ في خَاطِـرِ الأيـام ذِكْرَانَـا!

* * *

مـا أنـتِ؟ إني لَـمْ أجِـدْ أبداً أني كَشَـفتُك قَـطُّ في النُّـورِ
مـا أنـتِ إلا فكـرةٌ شَـرَدَتْ مـا أنـتِ إلا طيـفُ مذعورِ!

* * *

وشَـقِيَّةُ الخُطُـواتِ عَاثِـرةٌ في حَيْثُمـا اتَّجَهَـتْ لِمَأْمُـولِ
وكأنّمـا تَمْضِـي مُرَوَّعَـةً وضميرُهـا يُضْفِـي لِمَجْهُـولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو)١٩٤٤.

حلم الفجر*

عَجَبـاً! أنْتِ مَـا تَزَالِـينَ حُلْمي وَمِثَالِـي وَفِكْرَتِـي ونَشِـيدِي
مَـا تَزَالِـينَ في خَيالِـي رَمْـزاً لِرَجَـاءٍ مُنَـوَّرٍ مِـنْ بَعِيـد
مَـا تَزَالِـينَ حَافِـزاً لِجُهـودِي مَـا تَزَالِـينَ غَايَـةً لِوجـودِي
أَتَحَاشَـاكِ بالجَفَـاءِ وبالبَـأْ سِ فأرتَدُّ سَـاخِراً مِـنْ جُهُودِي
أَتَحَاشَـاكِ كالجحيـمِ وكالسُّـمّ ولكن إليـكِ يُفْضِي شُـرودِي

* * *

عَجَبـاً! تَرْكُـدُ الحَيَاةُ فَأَنْسَـاكِ قليـلاً في غَمْرَتِـي ورُكُـودِي
فـإذا دَبَّـتْ الحيـاةُ تَـراءَى كطيـفٍ مُسْتَيْقِظٍ مِـنْ هُجُودِ
وتَـراءتْ تَـرِقُّ حولَـكِ أَطْيَافٌ لِمَـا كَانَ بَيْنَنَـا مِـنْ عُهـودِ
كلّ مالا مسـت يـداكِ ومامـ ـس هوانا مـن قِيَمٍ وزهيدِ
أتمـلاّهُ بالخيـال وبالحُـ ـس كهـاوٍ من عـالَمٍ موعود

* * *

عجبـاً! بعـدَ كلِّ مَـا كَانَ مِنّا مِـنْ صِـراعٍ دَامٍ وجُهـدٍ جَهِيدِ
أتَمَنَّـاكِ في المَنَـامِ وفي الصَّحْـ ـو تَمنّـىَ العَقِيمِ وَجْـهَ الوليدِ
وإذَا سِـرْتُ في الزِّحَـامِ فَعَيْنِي لخيـالٍ مُسْتَشْـرِفٍ مِـنْ بَعِيـد!
لهفـةٌ تَمْـلأُ الحَنَايـا حَنِينـاً لرجـاءٍ مُجَسَّـمٍ مَفْقُـودِ
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوةِ الفجـ ـر فَأَنَّـى[٤٥] لِحُلْمِنَـا من مُعيدِ

* * *

---

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينا لم نَعُدْ نَسألُ أيَّانَ وأيْنَا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنَا
انْطَوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطَوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تَمشَّتْ تُسْبِلُ السِّتْرَ عَلَينا

* * *

اضْربي في زَحْمَة الأرض على غير طَريقي
فكرةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتوارَى عَن مُفيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَين الصَّديقِ
وَسَنىً يَطْمسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إلى الأرض عَصَاه
آنَ للمُجْهَد أن تَسْكُنَ في الأرض خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمضَ لا تُوقظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضَينا في طريقِ الوَهْم تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدمُ الأيامُ مَا نَبْني فَتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمينا فَتَمْضي قَدَمَانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جَنَانَا

* * *

يَا لهذا الحُلْم والأيامُ تَمضي والليَالي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالي
يَغْلبُ الوَاقعَ في الأرض بتَحْليق الخيال
ويَرَى خَلْفَ الرَّوَابي والصَحَارَى طيفَ آلِ[1]
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظِّلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضي وَالأَمَاني وَالزَّمَان
وانْتَهَيْنَا. وصَحَا بَعْد الأوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمي كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان

* * *

١- الآل: السراب

وادعاً كالزَّهر حيَّاه النَّسيمْ
ساهياً كالصَّمْت في ظلِّ الوُجُومْ
حالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بين أطياف الأماني
وخيالات الهمومْ

وردة ذابلة*

قـد تولّـتْ وَذَوَتْ نُضْرتُهـا وبـدت كالميّـت المُحْتَضـرِ
تَفْتَـحُ الأجفـانَ أو تَغْمِضُهـا فتحـةَ الضَّعْـفِ وغَمْـضَ الخَوَرِ
وشَـذَاهَا لَـم يَـزَلْ يُفْعِمُـني فيعيـدُ الشَّـجْوَ لي بالذِّكْـرِ

* * *

العود*

مُحَلِّـلُ القَلـبِ أنْغَامـاً وألْحاناً ومُلْهِـمُ الوَحْي إسـراراً وإعلانا
ومُوقِظُ النَّفْسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِـنَةٌ وأَنْـتَ تَهْمِسُ بَالأنْغَامِ وَسْـنَانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارجها[٤٦] وتطـرقُ العالَم العُلْـويَّ أحْياناً
وباعثُ الذِّكَرِ اللائي إذا اشتجرتْ أثَرْنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْـجاناً
وواهـبُ الحِسِّ لُطْفـاً في مَدَارِكه ومُوحِي الشِّـعرِ إحْساساً وأوْزاناً
أسَـلْتَ نَفْسِـي بالألحانِ تُنْشِدُها إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْناناً[1]
كأنَّ ألْحانَـك اللائِـي تُرَدِّدُهـا أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ؛ تَرْجِعُ الآنا
كأنّهـا هَمْـسُ جِـنٍّ أو ملائكةٍ أسـرَّ عن عالمِ الإنسـانِ كِتمانا

*نشرت عام ١٩٢٥
* نشرت عام ١٩٢٧.
١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تسـيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ وإنَّ للنفـسِ مِثْلَ الجسـمِ آذانا
وتسـتحثُّ خَيـالاً كان في دَعَـةٍ فيذرِعُ الكـونَ آفاقـاً وأزماناً
وتمـلأُ النفـسَ باطمئنانهـا ثِقَةً وتغمـرُ القلبَ إخْلاصـاً وإيمانا

* * *

حديـثُ أيِّ فـؤادٍ أنـتَ تَذْكُرُه أبَاسِـمٌ فَـرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَـا
وأيُّ وَحْـي لَنـا تَرْوِي رسَـالتَه فيؤمِـنُ الناسُ أفْـكاراً وَوِجْدَانا
عَنِ القُلـوبِ جميعاً أنـتَ تُخْبِرُنَا عنِ الأنَاسِـيِّ ما خَصّصتَ إنساناً
عـن الحيـاةِ ومـا فِيهـا تحدثُنا فكلُّنـا مُؤمِـنٌ يـزدادُ إيقانَا[1]
عن الطبيعـةِ تَروِى وهـي تُلْهِمُنَا هذا الحديثَ، فمـا نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أو
صورة صادقة

كانَ الأمـــس، وبالأمس القريبْ يَتَـــراءى كالأمانـــي هَـــا هُنـــا
هائماً كالـــرُّوح يغـــدُو وَيئُوبْ والرجـــاءُ العَـــذْبُ في وَادي المُنـــا
وَادِعاً كالزهر حيّاه النسيمْ
سَاهيا كالصمت في ظِلّ الوُجُومْ[1]
حَالما يصحُو قليلاً ويَهيمْ
بين أطياف الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهـــرةٌ قـــد كَادَ يَعْرُوهـــا الذُّبُولْ ثم حَيَّتْهـــا تباشـــيرُ الربيـــع[2]
فهـــي تَرْنُو بـــين صَحـــوٍ وذُهولْ مثلما تَحْتـــارُ في العـــين الدُّمُوعْ
وهو لَحْنٌ من أناشيد السماءْ
أرسلتْه في تضاعيف الضيّاءْ
فَوَعَاه كلُّ ذي حسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

دُميـــةٌ تُوحِي بأشـــتاتِ المَعَاني وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئـــاتٍ مِثْلَ أطيـــافِ الأماني ســـامياتِ الوَحْي كالعطفِ الرَّفيقْ
وهو مَا أدْرِي مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟
فهو رُوحٌ هَائمٌ لا يَسْتَقِرْ
وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ
والأناسِيُّ لئامْ
مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمـــس ولَكن قـــد تولّى ذلـــك الأمْـــسُ فَخـــلاّني وغَـــابْ
وإذَا بـــي مُوحِـــشٌ لا أتَسَـــلّى والخصيبُ النَّضْـــرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ
أذكر الساعات ومضاً ينقضين[1]
ثم يَعْرُوني لِذاكَرَاها الحنينْ
فيهيجُ الوجدُ والشّوقُ الدَّفينْ
إيه ساعاتِ الأماني
أتُرى قَدْ تَرجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بِيَ الشَّجُونُ وصَحَا جَفْني لَدى غَفْوِ الجفُونْ
وتوارتْ ضَجَّةُ العَالَمِ في هَدْأةِ الليلِ يُغَشِّيها السُّكُونْ
حَنَّتْ. الوُرْقُ فلمَّا هَجَعَتْ بَعدَ لأي هَيجَتْ عنْدي الحنينْ[1]
ذكرياتٌ مَا لَهَا تَتْبعُني حيثما سِرْتُ وأيانَ أكُونْ
صُورٌ شتى إذا ما عَرضَتْ صَوّرَتْ لي واضحاً طيفَ السنينْ
وأرَتْني كيفَ يمضي العُمْرُ لا يشعرُ المرءُ به حتى يَحِينْ
يَتقضَّى العُمْرُ في أحلامنا وإذا نَصْحُو صَحَتْ غُولُ المَنونْ
وأرتْني شَبَحاً مِنْ عَدمٍ يتبعُ الأحياءَ أنّى يَتزِلُونْ
يَبْلَغُ المَاضي مِنْ آثارهم فَاغِراً فَاهُ لِمَا يَسْتَقْبلونْ

* * *

إيه يا ليلُ أراني مُغْرَماً بحديثٍ منْكَ يُشْجِي السَّامعينْ
هاتِ ما عِنْدَكَ لا تبخلْ به بلسانِ الصَّمْتِ والوَحْي المُبينْ
أوْحِ للأنْفُسِ ما حُمِّلْتَه من جلالٍ وخُشُوعٍ ويَقينْ
هاتِ يا ليلُ أحاديثَ الهوى واتلُ يا ليلُ شُجُونَ العاشِقينْ

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨
١- الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخِرْ فيك صَدى أنَّاتِهم لا تُضِعْ يا ليلُ أصْدَاءَ الأنينْ
إنَّها ذوبُ قلوبٍ فُطِرَتْ ونفوسٌ دامياتٌ وعُيونْ
كَم سلاماً فيك قد حُمِّلْتَه من مُحبٍّ وامقِ القلبِ حَزينْ[1]
رُبَّ سِرٍّ غامضٍ أُودِعْتَه في حَنايا الصَّدْرِ مَخْبوءٌ دفينْ
ضَاقَ صدْرُ الصَّبِّ عن كتمانه فأراكَ السِّرَّ دون العالمينْ

* * *

مُرْ يا ليلُ فقد أشْجَيتَني عَلَّ في الصبُّحِ هدوءاً أو سُكونْ
إنّ لي فيكَ لَشَجْواً وأسَىً ومُنَاجَاةً وشَكوى وحنينْ
عَبَثاً أنْجُو بروحي مِنْ حنينٍ هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدي والشُّجُونْ
إنني أهْواكَ يا ليلُ ولكنْ أنْتَ بالإشفاقِ والعطفِ ضَنينْ
تبعثُ الأشجانُ مِنْ مَكْمَنِها رحمةً يا ليلُ بالمستيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس*

نَسَمَاتٌ زَفَّهَا الفجرُ الوليدُ بعد ما جَاشَ بها صَدْرُ الحَياةْ
ناعماً مِثْلَ أنفاسِ الورود بَلّلَ الطلُّ شَذَاها بِنَداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشّيها السكونُ وظلامُ الليلِ والنومُ العَميق
طِفْلةٌ قد ضمَّها الليلُ الحَنونُ ضَمَّةَ الرحمةِ كالأمِّ الشَّفُوقْ

* * *

وتراءى الصُّبْحُ في سَمتٍ بديعٍ فإذا الطِفْلةُ تَصْحُو من سُبَات
تُرْسِلُ الأنفاسَ في رِفْقٍ وديعٍ وإذا الأنفاسُ تلك النَّسَمَات

* * *

وإذا الزهرُ يُحَيّي في ابتسامٍ ذلك الصبحَ ويرنُو في هُدوء
كابتسامِ الطفلِ في عهدِ الفِطام حينما يَحْلُمُ بالثَّدْيِ المَليء

* * *

وإذا الطَيرُ وقَد رَانَ النُّعاسُ فوقَ عينيه تَنَزّي فَصَحَا
يرمقُ النورَ بهمسٍ واختلاسٍ فَيُحَيِّيه طَرُوباً مَرِحَا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُدْفِ الظلامِ مثلما يَبْسَمُ للغَانِي الأمل[1]
يَلْثُمُ الكونَ ببشرٍ وابتسامٍ ويُحييه برفقٍ في القُبَل

* * *

١- سدف: سواد

وترى الأنفسَ في هذا الحَنانِ ساكناتٍ بينَ أحضانِ الطَّبيعَه
ساهياتٍ راضياتٍ في أمانٍ تُرْسِلُ الطرْفَ بنَظَراتٍ وَديعه

* * *

عَالماتٍ في كَراها يَقِظاتٍ! سابحاتٍ في التِّعلاَّتِ الوِضَاءْ[1]
تُنْشِدُ الآمالَ عَذْبَ الأغْنياتِ بينَ سَمْعيها ويحدُوها الرَّجَاءْ

* * *

فترةٌ في مَطْلعِ الفجرِ تمرُّ هي حُلْمٌ مثلَ أيامِ الطُّفُولَه
فإذا مَرَّتْ فجوٌّ مُكْفَهِرٌّ هو في الطِّفْلِ شَبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْتُ بأحضَانِ الصبَّاحِ أو قضيتُ العُمْرَ أستمتعُ طِفْلاَ!
لا ولا هذا من الدَّهْرِ يُتاحُ لا ولا قد عُدتُ أستمتعُ كَلاَّ!

* * *

١- كراها: نومها

عبث الجمال*

غادةٌ مراحٌ طروبٌ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعيها تُغَـرِّدْ لَحنهـا وتُرَجِّـعْ وتمرحْ ما شـاءت وتلهُو وترتَع
دَعيهـا تُنَمِّـقْ للحيـاةِ تحيـةً وتبعثُهـا لحنـاً يَلَـذُ ويُمْتـع
دَعيهـا تُعَبِّـرْ عن مَشـوقٍ مُتيم تَلجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو ويَنْزَع(١)
دَعيهـا ففي ألحانهـا، الحبُّ ناطقٌ ومن وَحْيه تَشـدُو مَليًّا وتَسْجَع
دَعيهـا فقـدْ رَوَّعْتهـا وتَرَكْتها مُشـتّتةً حَيْـرى تُطِـلُّ وترجِعُ

* * *

عزيـزٌ عليها عُشُّـها دَرَجَـتْ بِه فِراخـاً نَحيـلاتٍ تَهُـمُّ فَتَقْعُدُ
يُطالِعُهـا رُوحُ الربيـعِ فتَنْتَشـي ويَدْهَمُهـا قَـرُّ الشِّـتاء فَتَجْمُدُ
وتَنْشَـقُ أنفـاسَ الصبَّـاحِ نَديةً فَتَنْدَى؛ ويَحْدُوها الرَّجاءُ فَتَسْعَدُ
وظَلَّلَها في عشِّـها الحـبُّ حَانياً عَلَيهـا قويَّـاً مُنْعِشـاً يَتَجَـدَّدْ

* * *

فَـكانَ لهـا زاداً إذا قَـلَّ زَادُها ورَوحـاً وريْحَاناً ولَحنـاً يُرَدَّدْ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألحَّ عليه.

ويَا طالَمـا غَنَّتْ ويا طالمـا بَكَتْ سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى
ويا طالَمـا ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُدَاهِمٍ فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتْراً(٥)
وكَم ليلةٍ مَرَّتْ وكَم أَشْرَقَ الضُّحى وكم أمَّلَتْ خيراً؛ وكَم حَذَّرَتْ شَرّاً
دَعيهـا. بمهـدِ الذكريـاتِ أمينةً تَطيفُ بها كالومضِ مُسْرِعةً تَتْرَى(٦)
دَعيها أجَـلْ لا تَعْبَثي بشـعورِها ولا تَحْرِميها خيرَ ما حَفِظتْ ذُخْرَا

* * *

وإن لا يكنْ بُدٌّ مـن اللهوِ فاعبثي بألبابنـا لا بالطيـورِ الهَوائم!(٧)
وَهَبْتُكَ إحساسي فما شئتِ فاصنعي أمينـاً لعهدي مُخْلِصاً غـيرَ نَادِم
وقَاكِ الجمالُ السَّـمْحُ كلَّ مَلامَةٍ وعَتْبٍ فَلا تَخْشَـى مَقالةَ لائم(٨)
ولكنَّهـا الأطيـارُ تَلْهُـو بريئـةً فما بالهـا تُدْهَـى بِفَعْلَـةِ ظَالِم!؟
دَعيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثي بها فمـا كان أوْلاها بِرَحْمَـةٍ رَاحِم!

* * *

يوم خريفا*

وَقَفَ الكونُ شَاخِصاً في سُكُونٍ وتَراءى لِخَاطِرِي كالحزينِ
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فتبدُو كَبَاهتاتِ الظُّنُونْ
وكأنَّ الزَّمانَ سَاورَه الحُزْنُ فأغْفى إغفاءةَ المُسْتَكِينِ[1]
وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيْرُ فناءتْ بَحمْلِ عِبْءِ القُرونِ
وكأنّ الأقدارَ أرْخَتْ يَدَيْها وتَراختْ عَنْ صَرْفِها للشؤون

* * *

وقفَ الكونُ ساهماً ليس يَدْري أينَ يَمْضِي؛ وأينَ لَو شَاء يَمْضِي
طَالَما دَارَ بالأنامِ ودَارُوا بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ
ثم ماذا؟ تَساءَل الكونُ: ماذا؟ أحياةٌ ما بينَ غَزْلٍ ونَقْضِ
أيّما غايةٍ نَؤُمُ إليها أيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضِ
تَعَبٌ ضائِعٌ وجُهْدٌ غَبِينٌ ومَصيرٌ مُقَنَّعٌ ليسَ يُرْضِي

* * *

وسَرى اليأسُ والخُمُولُ إليه فتَرَاخَى في سَيْرِه كالبليدِ
وتَمَشى الهُمُودُ في كلِّ شيءٍ مِشيةَ الدَّاءِ بالأسى والكُنُود[2]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- ساروه: وائيه

٢- الهمود: السكون.

فإذا الدَّوحُ في وجُومٍ كئيبٍ وإذا الطيرُ في ذُهُولٍ شَرِيد
وإذا الزَهْرُ في الرياضِ أسيفٌ كصغارِ الأيتامِ في يومِ عيد
وإذا بالزمانِ يعطُو كَسيحاً كأسيرٍ يُساقُ نِضْوَ القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّماءَ والأرضَ، مَرْضَى بِرِمَاتٌ بِثقلةِ العُوَّادِ![1]
وترى السُّحب في السماءِ تغشَّى ناظريها كَصَفْحَةٍ مِنْ رَمَادِ
وتَرى الأرضَ كالكظيمِ مِنَ الحُزْنِ ثَكُولا تَسْربَلَتْ بالحِدادِ
والفَنَاءُ المريضُ، طافَ عليها طائفٌ منْه في ثَنايا الرُّقَادِ
كلُّ شَيءٍ يرنُو إلى كلِّ شيءٍ! كسجينٍ يَرْنُو إلى الجَلَّادِ

* * *

مَأتَمٌ صَامتٌ يُهوِّمُ فيه شَبَحُ اليأسِ والقُنُوطِ العَقيمِ
ليسَ موتٌ وليسَ ثَمَّ حَياةٌ كُلُّ شيءٍ في صمته كالسَّقيمِ
والوُجُومُ الذي يُغشِّي عليها كاسفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجومِ!
وخُفُوقُ الأرواحِ أبْطَأ نَبْضاً كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّديمِ[2]
أسْبَلَتْ عَينَها الحياةُ سَآما واسْتَنَامتْ لليأسِ والتسليمِ!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.

٢- السديم:الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تترى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يترى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمَ وتَرَّي الداءُ فيه والألم
ودَوّتْ من فيه تَعوي صَرْخَةُ تَتَلَوّي فيه حتى تَحْتَدِمْ
صَرْخَةُ الجبارِ يَشكُو مُرْغَماً ذِلَّةَ الشّكْوَى وإهوانَ الرَّغَمْ (١)
يَشْتكي العجزَ وما يُؤلِمهُ فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تَضطرم
يَشْتكي العجزَ الذي أقعدَه عَنْ صراعاتٍ وهولٍ يُقْتَحَمْ
تسمعُ القوةَ في صَرْخَتِه من وَراءِ العجزِ تَدْوِي فَتُصِمْ
ويَهُمُّ البأسُ في أشلائه ناهضاً ؛ لكنما العجزُ جَثَم

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣
١- الرَّغم:الإلجاء.

أيُّ معنى تَحتوِى صَرْخَتُهُ ؟ أيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ
هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم
هو ماضٍ غَامِضُ تَكْنُفُه جَلْجَلاتٌ، وهَزِيمٌ؛ ورُجَمْ (١)
هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِمٌ لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ
هو ماضٍ! أيُّ ماضٍ ؟ يا لَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَـاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ أَقضَّ بها النُّوَامَ في الفجرِ مِعْوَلُ؟[٢]
لِذلكم الصَّخَّـارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ ولَمّا يَـزَلْ لليلِ في الصبُّـحِ مَدْخَلُ
أَكبَّ علـى تحطيمِـه وانتحاته كَراجٍ له في ذلـك الصَّلْدِ مَأمَلُ[٣]
يُطَوِّحُ في عُـرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه ويهوى على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ
ولكنَّهـا تَلْقَـاه صَمَّاءَ لَـمْ تَلِنْ وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ
يـدورُ حَوالَيهـا لِيُـدْرِكَ مَقْتَلاً وهَيهـاتَ في الصُّلدِ الأصمَّاءُ مَقْتَلُ
ويَغْمِزُهـا غَمْزَ الخبـيرِ ويَنْثَني يحـاولُ مَـا أعيـاه، لا يَتَحَـوَّلُ
وقد جَـاشَ في أعضائه كلُّ نَابضٍ وسَـالَ دَمٌ في صورةِ المـاءِ يَهْطِلُ!
وحـينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعـدَ طَرْقَةٍ تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَا كانَ يَصْمَلُ[٤]
فَأرخي ذِراعَيْه، وأسْـنَدَ جِسْمه إلى مِعْـوَلٍ؛ نَصّاه للكـدحِ مِعْوَلُ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٤.
١- الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)
٢- تُعول: رفع الصوت بالبكاء والصياح.
٣- الصّلد: اللب الأملس الشديد.
٤- يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَسـيلُ جُهـودٌ أو دِمَـاءٌ نَقيةٌ لِيُنْصَـبَ تِمْثَـالٌ ؛ ويُرْفَـعَ مَنْزِلُ
وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقيِّ وليـسَ له في ذلك القصـرِ مَوْئِلُ!
ولكن قُصـارَاه شَـرابٌ ولُقْمَةٌ ومَأمَلُـه في ذلك الصَّلْـدِ مأكل!
قِفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أسـودَ كالحٍ وأفراخُه كُثْـرٌ؛ وأَنْثَـاه مُطْفِلُ[١]
فـإن كانَ إكليـلٌ فهـذا جَبينُه وَإنْ كانَ تمثـالٌ فهـذا المُمَثَّـلُ
ويا رحمةَ الإنسانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي أمامَ بني الإنسـانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أثناه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضِى إلى مَدَاه البَعيدْ
ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!
يَنْظِمُ السّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلّ هَذَا القَصيدْ
منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَديمٍ جَديدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نيلُ سَعيدٌ بِحُلمِكَ المَعْهُودْ
يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهيجاً ذاك حُلْمُ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ
من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَـطُّ ما تَشَـاءُ فإنّي رَغمَ سـحرِ الجمالِ والمـوجِ رَاحلْ
رَاحِلُ حَشْـدٌ نفْسـه لفَتَاتٌ ليـسَ عـن فتنـةِ الجمـالِ بغَافِلْ
قـدْ دَعَتْـهُ إلى الرّحيـلِ ديارٌ في صَميـمِ الجحيمِ تُدْعي الشَّـواغِلْ
هي قبرُ الآمـالِ والفنّ والحبّـ ـب وقَيدٌ عن كلّ ما شـاقَ شَاغِلْ
وهي دَارِى التي دَرَجْتُ عليها وإليهـا المـآبُ مَهْمـا أُحـاوِل !

* * *

أُحْلُ يا شـطُّ بالجمـالِ طَليقاً مـن قُيودِ الزمـانِ نَشْـوانَ واهِلْ
أَسْـكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزَجّي دَفَعـاتِ الحيـاةِ في كلّ نـازِلْ
فـيَرَى نفْسَـهُ خفيفـاً غريراً قاهـراً قـادراً يجـوزُ الحوائـل
دَفَعَاتُ الحياةِ في المَوْجِ أَسْـنَى مـن بَريقِ الآمـالِ في نفْسِ آمِلْ

* * *

أُحْـلُ ياشـطُّ بالعَرائسِ حُوراً سَـابحاتٍ والمـوجُ ظمـآنُ نَاهِـلْ
كانْفتَـالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً وانثنـاءِ الغـزْلانِ والشـطُّ ذَاهِلْ
فتنـةٌ تَسْـكُبُ الحيـاةُ عليها سـحْرَها والعيـونُ حُـورٌ قَواتِـلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقِظُ في النَّفْـ ـسِ ظَمـاءً مُرَقْرَقـا في الدّخَائل
وانطلاقـاً من التَّزَمُّـتِ والْعُر فْ وشَـوْقاً إلى المباهِـجِ واغِـلْ
أُحْلُ يا شـطَّ لن نُطيـقَ انْفلاتاً مـن رَحيـلٍ إلى جحيمِ الشَّـواغِلْ

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

على ضفاف الخلودْ وفي شعاب الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ قد كان هذا الوطنْ

* * *

يا فجرُ مَنْ ذا رآكْ تجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حيٌّ سِواكْ تُهدِى إليه الضياءْ؟

* * *

رأتْكَ تلكَ الضّفافْ رأتكَ تلكَ البُرورْ[1]
رأتْكَ قبلَ المطافْ وأنتَ طفلٌ غريرْ

* * *

وشبْتَ والدّهرُ شابْ وحنّكَتْكَ الحياةْ
والنيلُ بادي الشبابْ والزهر يَقْفو خُطاهْ

* * *

يَنْسابُ مثل النَّغَمْ في عَزفِ ناي طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ تُضْفِي عليه الغيوبْ

* * *

خريرةُ صَلَواتْ مُعَطَّراتُ النشيدْ
وموجُهُ أغنياتْ مُرتّلاتُ القصيدْ

* * *

يا نيلُ كم من شراعْ يا نيل كم من سَفينْ
أسْلَمْتَها للوَداعْ على مَدارِ السّنين

* * *

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٤٤.
١- البرور: مفردها البَرّ(الشاطئ)

يا نيلُ كَمْ من جُموعْ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروعْ وذِي وذِي للقطافْ

* * *

وأنتَ صنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكلُّ عَامٍ تعودْ مُجدَّدَ الأيام

* * *

تجرى فتجرى الحياة ويُمْرِعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرحُ القُطْعان

* * *

ويَنشطُ الزرزورْ يجمّع العيدان
لِعشّه المَعْمُورْ بفرخه الوَسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أُحسُّ ركْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعينْ فيَ موكِبٍ للربيع

* * *

قد شمّروا للحصاد وخَلّفوا أمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقُوا للبكور

* * *

وموكبٌ للرّواحْ في كلّ يوم يؤوب
يزّفه الفلاحْ على مَدارِ الغروب

* * *

مـــن الحقـــول المّريعـــة إلى الحِمـــى والدّيـــار
تضـــمُّ فيـــه الطبيعـــةْ أبناءَهـــا الأبـــرارْ

* * *

لُحونُـــه مـــن صيـــاحْ ومـــن رُغـــاءِ النَّعَـــمْ(١)
ومـــن رجيـــع النُّبـــاحْ ومـــن ثُغـــاءِ الغنـــمْ

* * *

علـــى مَـــدارِ القـــرونْ يســـيرُ فيـــه الرُّعـــاةْ
كأنهـــم خالـــدون مـــا بُدِّلُـــوا في الحيـــاةْ

* * *

أُحـــبُّ فيـــك الخلـــودْ يـــا أيُّهـــا الـــوادي
أحـــب فيـــك الصمـــودْ للقاهـــرِ العَـــادَي

* * *

تَصـــبُّ فيـــكَ الوفـــودْ وأنـــت يقظـــانُ ســـاهرْ
تصوغُهـــم مـــن جديـــدْ كأنمـــا أنـــتَ ســـاحرْ

* * *

يـــا مَهبـــطَ الأســـرارْ مـــن الغيـــوب العميقَـــةْ
يـــا موطَـــنَ الأســـحارْ مـــن القـــرونِ الســـحيقةْ

* * *

يَـــأوي إليـــك الزمـــانْ خـــوف البِلَـــى والفَنـــاءْ
يـــأوَي لحصـــن الأمـــانْ فيســـتمدُّ البَقَـــاءْ

* * *

ووجهـــك الفَتَّـــانْ بلونـــه الأسمـــرْ
يـــا طالمـــا يَـــزْدانْ بَزرعـــك الأخضـــرْ

* * *

ترنُـــو لـــه عينـــاي في فتنـــة العاشـــقْ
يـــا أرضُ يـــا دنيـــاي يـــا آيـــةَ الخالـــقْ

* * *

يـــا أرضُ كَـــم تَحْلُمـــين بالزهـــر أحـــلامَ شـــاعرْ
رُؤاكِ طـــولَ الســـنين يـــا أرضُ ، تلـــك الأزاهـــرْ

* * *

وريحـــك المعـــروفْ يشـــمُّه أَنْفـــي
فيَ خاطـــرِي مألـــوف مميـــز العَـــرْف

* * *

يـــا أرض، هـــذا الصعيـــدْ مقـــدسٌ في ضمـــيري
سَـــرى عليـــه الجـــدودْ وأخلـــدوا للقبـــورِ

* * *

يـــكادُ فَـــرْطُ الحنـــينْ إليهـــمُ في شُـــعوري
يردّهـــم شـــاخصين إلى خلـــفَ الدهـــورِ

* * *

يـــا أرضُ ســـرٌّ دفـــينْ مُغيَّـــبٌ في ثـــراك
يَرُدُّنـــا مُوثقـــين إليـــكِ أســـرَى هـــواكَ

* * *

هـذا الثـرى المنشـور في صفحـة الـوادي
عرفتـه في الضمـير رفـات أجـدادي

* * *

يـا أرض. هـذا النشـيد مـن وحيـك العبقـريّ
فاقْضـي لـه بالوجـود بسـرّك القُدُسـيّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

في الجوّ رائحةٌ تُوسْوسُ في الحَنَايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خَدِرَتْ يُعاودُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوق المجنَّح في مَتَاهَات الضَّميرْ
وكأنّ رائحةَ الحياة تَدَبُّ في عَبَقٍ مُثيرْ

* * *

وأحسُّ بالنغمات سَاريةً تَرَقْرَقُ في الدّمَاءْ
كهُتَاف مشتاق تَولّه لا يكفُّ عَن الدُّعَاءْ
الأرضُ تَفْتنُه وَيَرْنُو في ابتهال للسَّمَاءْ!
والصَّمتُ يَغْمُرُه وفي الأحْنَاءِ وسَوْسَةُ الغِنَاءْ!

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَأ المُغَلْغَلُ للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَل المُليحة في الشّفَاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرَّقَات في شَغَف يَهيمُ إلى مَدَاهْ[1]
وتطلُّع الصُّوفيِّ في شوق إلى ذاتِ الإلَه!

* * *

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتف والحَنينْ
أبَداً يَهيجُ إلى عَوَالمَ تائهات لا تَبينْ
ويُهَدْهدُ الأحلامَ والذّكرَاتُ شَتّى والفُنُونْ
فإذَا الحَياةُ هوىً يَرِفُّ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ

* * *

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٤٥

١- الخرقات : نوع من العصافير.

جمال حزين*

أجَـلُّ مـن الحُـزْنِ والمَأتَـمِ جَمَالُـكِ. إنْ كُنْتِ لَـمْ تَعْلَمِي!
وَقَـدْ دار حـولَ الجبـين الخمارُ تَشَعْشَـعَ** كالليـلِ بالأنْجُـمِ!
كمـا أَرْسَـلَ الصبـحُ لآلاءَهُ بَريئـاً مـن الصّبْغِ كالعَنْـدمِ![1]
وفي شَـفَتَيْكِ الجَنَـي والرَّحيـقُ ولكـن طَهُـرْتِ فَلَـمْ تَأثَمـي
وكَفَّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَـفيفُ سـوى قُبْلةٍ وصْوصَتْ في الفَمِ![2]
وفِتْنَـةُ هـذا الجَمَـالِ العَميـقِ وطُهْـرٌ نَمَـاكِ إلى مَـرْيَمِ

* * *

هُـو الحِلْمُ بـينَ ضِفَـافِ الجنَانِ يَـرِفُّ علـى ثَغْـرِكِ المُلْهِـمِ
ويَطْـرُقُ عَيْنَيـكِ في سَـبْحَةٍ إلى عَـالمٍ شَـاعِريٍّ ظَمِـي
تَحجَّـبَ بـينَ شِـعابِ الغُيوبِ وأومـضَ في قلبـكِ المُفْعَـمِ
ضَمـيري يُحسُّـكِ أُغْـرُودةً علـى شَـفَتَيْ خَاطِـرٍ مُبْهِـمِ

* * *

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١- الغندم: صبغ تختصب به الفتيات.

٢- وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم ير منه إلا عيناها . والمراد أن قبلة سريعة حقيقة.

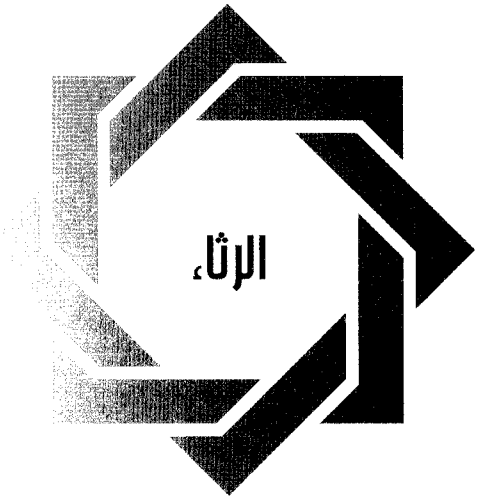

ودمُ المختار ما زالَ ندِيّا

يستحثُّ الخَانعينَ الضُّعَفاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبون الدُّعاء

وحي الخلود*

الموتُ مرحلةُ الخلودِ والذِّكْرُ عُمْرٌ لا يَبيدْ
فإذا انتهى أجَلُ العظيمِ فَذِكْرُه أجلُّ جَديدْ
ماتَ الزعيمُ ولم تزلْ آثارُه تُحْيي الجنودْ
وَمضَى شهيداً طاهراً يا نِعْمَ ذَيَّاك الشهيدْ
هو عَلَّمَ الشعبَ الجِها دُوأيقظَ القومَ الرُّقُودْ
هو كانَ رَوحاً بيننا يَحيَا فُيُحْيي مَنْ يُريدْ
هو كانَ كالأملِ المُضى ء وكانَ كالجدِّ السعيد
هو قد حَبَا الأشبالَ مِنْ عَزَماتِه بأسَ الأسودْ
فإذَا مَضَى الأسدُ الهصو رُ فَخَلْفَه أسدٌ عَتيدْ
وإذا خَبَا الرأيُ الرَّشي دُ فَخَلْفَه رأيٌ رشيدْ
يا سعدُ أدْمنتَ الجُهو دُ فحسبُنا تلك الجُهودْ

* * *

نَمْ مطمئناً بعدمَا عَلَّمْتَنا معنى الوجودْ
الشعبُ بعدَك لم يَعُدْ يُثْنيه وَعدٌ أو وعيدْ

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشعبُ لا يرضَى القُيوَ دُ ولم تنلْ منه القُيودْ
الشعبُ نَصَّبَ[٧٥] مصطفا كَ وكاتمَ السِّرِ الودُودْ
وهو الأمينُ على العهو دِ فما يخُونَ وما يَحيدْ
يا أيُّها الخَلَفُ العظيـ ـم ويا أخَا الرأي السديدْ
الشعبُ خَلْفَكَ كُتلةٌ في مَوقفِ الهولِ الشديدْ
أقْدِمْ على الخَصْمِ العَني دِ يَحُوطُكَ الجيشُ العتيدْ
مُسْتَلْهِماً وَحْيَ الفقيدِ فإنه وَحيُ الخُلودْ
إنَّ الحياةَ لِمن صَحَا ليستْ لِعُشَّاقِ الهجُودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم*

هـي هذه الذكـرى لثالـث عامٍ حَثَّـتْ رَكائبَهـا يـدُ الأيـام؟
هي هذه ذكـرى الخُلُـودِ ورَمْزه وشـعارُه الباقي علـى الأعوام
ذكـرى البُطولةِ والزمـانُ يَحفُّها بجلالـه فتجـلُّ في الأفهـام
جـاءتْ تُحَدِّثُ في جَـلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفـةً بمـرارة الآلام
بَيْنَـا تُذَكِّـرُ بالحيـاة إذا بهـا تَرْنُـو مُحَدِّثـةً بطَـرْفٍ دَامِ[1]
مَمزُوجة الألـوانِ تعَصـفُ تَارةً وتعـودُ هَامِسـةً بَوحْـي سَـام
هي كالخلـودِ المحض غـيرَ محددٍ وهـي اليقـينُ يَبُـضُّ بالأحلام
وهي النفـوسُ حَيالَهـا في رَوْعةٍ أخَّـاذَةٍ مَسـحورةِ الإلْهـام
مَشْـدُوهَةً مـا إنْ تَفيـقُ وحولَها زُمَـرٌ مـن الأشـباحِ والإلهـام
مغمورةَ الأطرافِ شَـاعِرَةً الحَشَا في غمـزةٍ تَطْغَـى وفيـضٍ طام
هي هـذه الذكـرى وذاكَ جَلالُها تَحْنـي لِرَوْعتهـا أعـزُّ الهـام

* * *

أمْضَـتْ ثلاثـاً كالقـرومِ طويلةً سُـودَ المفارقِ جُلِّلَـتْ بقَتَام[2]
عَصَفَـتْ بمصرَ الحادثـاتُ كأنّها كانـتْ مُهيَّـأةً علـى الأقـدام

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١- بطرف دام: طرف، نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

ومَشَـتْ بها هُوجُ الرِّيـاحِ جريئةً تَجْـري لغايتهـا بغـيرِ زِمـام
وعَلَـتْ بؤوسٌ كـنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ مـن عِـيرٍ بـكلِ مَقَـام
هم قَد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأسـرعُوا وهـم ارتضَوْا من دَهْرِهم بِحُطَام
ودَعَاهُم الوطنُ الكـريمُ فأعْرَضُوا وتَسـلَّلوا للخَصْـمِ غـيرَ كِرَام
هدمُـوا من الدسـتورِ ركناً قائماً وتعلّلـوا بالـزُّورِ والأوْهَـام
وتَصيَّـدُوا للشـعبِ كلَّ مَسـبَّةٍ كيـدَ العـدوِّ وطعنـةَ الأخْصَام
لولا جـلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامهـم مُستَبْشَـعَ الآثَـام!

* * *

يا سـعدُ والذكرى تُثيُر شـجونَنَا وتَهدُّنَـا بالعـزمِ والإقْـدام
وتُطِـلُّ روُحُكَ في جـلالٍ صامتٍ يُـزْري بـكلِّ إشـارةٍ وكلام
يا سـعدُ تُوليكَ القلوبُ حُشَاشَـةً منْهـا تقـومُ بواجـبِ الإكْرام
وتَـزُفُّ أنفـاسَ النّسـيمِ رقيقَةً تَسْـرِي مـزودةً بـكُلِّ سَـلام
يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ في كلّ تمثـالٍ هنـاك مُقـام!
إنّ الـذي يحـيي مَشَـاعَر أُمَّـةٍ تحييـه بـالأرْواحِ لا الأجْسـام

* * *

يـا أيُّهـا الثَـاوِي وفي تـذكارِه وَحْـي الخلـودِ وآيـةُ الإلْهام
اليـوم تُذْكَـرُ والجَـلالُ مُخيِّمٌ والصمتُ يبعث شَـاجِيَ الأنغام

وتمـرُّ أجيـالٌ وأنـت مُغَيَّـبٌ عنـا وذكـرُك في المشـاعرِ نَامِ

إنّـا فَقَدْنَـا بافتقـادِك طلعـةً وبَقِيـتَ ذكرى خُلِّـدَتْ بدَوامِ

في كلِّ نَفْـسٍ مـن سَـنَاكَ بَقيةٌ وبـكلِّ رُوحٍ منك فيـضٌ هَامِ[1]

هـذا هُو الشـعبُ الـذي خَلّفتَه وسـطَ الطريـق مُيممـاً لأمامِ

هـو لا يـزالُ مُجاهـداً كعهودِه هـو لا يـزالُ مُؤيـدَ الأعْـلامِ

أمّا الألى نَكَثُوا العهـودَ فما رَعَوا إلاَّ ولم يَسْتَمْسِـكُوا بِذمـامِ

فهـم البُغَاثُ جَليلُهـم وحقيرُهم وهُم الذِّئابْ تَفَجُّعٌ في الإجرامِ[2]

يا سـعدُ لا تقلـقْ لِفَعْلَـةِ خارجٍ أنـتَ الخبـيرُ بهـذه الأقْـزَامِ!

حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى يقفُو خُطاكَ فـكانَ أخْلصَ حَامِ

قـد يَذْهبُ الليثُ الهصـورُ وإنّما تبقى الليوثُ عـن العرينِ تُحامِي

* * *

١- هام: غزير.

٢- البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبَة العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجرىء الذي ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كَاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيد وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشّعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضى بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانِ الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثة الحرّى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَـجّلي يا أرضُ وارْعَـيْ يا سماءْ مَصْـرَعَ الجبـارِ بـينَ العُظماءْ
مَصْـرَعُ الجَشّـامِ مـا إن يَنْثَنـي أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]
يقـفُ الهـولُ لديـه خَاشِـعاً وهـو يَلْقَى الهولَ بَسّـام الرِّضَاءْ

* * *

نـالَ منه المـوتُ ما لَمْ يسـتطعْ نَيْلَـه الغُصّـابُ في سَـبْعٍ ولاءْ
عَذّبُـوه ونَفَـوه ومَضَـوا في فنـونِ الظّلْمِ ما الظلمُ يَشَـاءْ!
أرسـلُوه حيثُ وادي المـوتِ إذْ لا يَـرى الأحياءُ أطيـافَ الرَّجَاءْ
في مَبـاءاتٍ تُـدوّى بَيْنَهـا جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولْ الوبَاءْ[2]
تَصْفُـرُ الرّيـحُ بهـا مُعْوِلـةً تنـذرُ الأحيـاءَ فيهـا بالفنـاءْ
وأرادُوا والمَنَايـا حَوْلَـه أن يُذِلُّـوا فيـه تلـك الكِبْرِيَاءْ
فمضَـى يَأْنَـفُ في سُـخْريةٍ عيـشَ ذُلٍّ هُـو والموتُ سَـواءْ
لم يقلْهـا: لَفْظَـةٌ، لـو قالَهـا لَقِـى النّعْمـاءَ منهـم والـوَلاءْ

* * *

ليـتَ أهلَ الأرضِ يـدرونَ بما صنـعَ الغُصّـابُ بالنفـسِ البَراءْ
أتُـرى أنْعَتُهـا وَحْشـيةً في ظـلامِ الكهفِ لَمْ تـدرِ الضيّاءْ؟
أظْلِـمُ الوحـشَ إذا شَـبّهتُه بوحـوشِ الغَـربِ تمتـصُّ الدّمَاءْ!

١-الجشّام:المتقحّم.
٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِـكُ الوحـشُ لِيحيَـا بينما يَفْتِـكُ الغـربيُّ حُبّـا في الثَّـرَاءْ!
يا شـبابَ الشـرقِ هذا موقفٌ تَقْشـعِرُّ الأرضُ منـه والسـماءْ
ودمُ المختـارِ مـا زالَ نـد يّاً يسـتحثُّ الخَانعـينَ الضُّعفَاءْ[1]
وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليـ ـوم يدعُو مَـنْ يجيبـونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشـرقِ والشرقُ إذا لم تكونُـوا جُنْـدَه ضَـاعَ هَبَـاءْ
لا يـردُّ الحـقَّ قـولٌ فَـارِغٌ تَذْهَـبُ الرِّيـحُ به عَصْـفَ الهواءْ
إنْمـا يُجْـدِي جِهَـادٌ عَـارِمٌ وخِصَـامٌ ونِضَـالٌ وعَنَـاءْ
إنمـا يُجْـدِي إذا نَبْعَثُهـا كهـزيمِ[95] الرعدِ تَـدوِي في الفَضَاءْ
إنمـا يُجْـدِي إذا مـا أيْقَنُـوا أننـا كالغَـربِ قـومٌ أقْويـاءْ

* * *

يا شـبابَ النيلِ ماذَا؟ وَيْحَكُم! أفأنتـم حيـثُ يُحييكُـم دُعَـاءْ؟
يـا شـباباً نَاعمـاً مُسْـتَأنِثاً كَذواتِ الخِـدرِ في ظِـلِ الخِبَاءْ![2]
يـا شـباباً تافهـاً مُحْتَقَـراً تأنـفُ الأجيـالُ منـه في ازدرَاءْ
يـا شـباباً هَمُّـه لَذّاتُـه فهـو يَحيـا بـينَ كأسٍ وخَنَـاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.
٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار .

يـا شـبابـاً قَصُـرَتْ آمالُـه كخَشَـاشِ الأرضِ مَرمَـاه الغـذَاءْ

يـا شـبابـاً نُكِـبَ النيـلُ به في الأَمانـي والتَّعـلاَّتِ الوِضَـاءْ

يا شـبابَ النيلِ هَـلْ أبْصَرْتُمو في فَتى السـودانِ كيفَ الشُّـهداءْ؟

عُمْـرُ الإيمـانِ بالحـقِ لـه مهجةٌ حَـرّى فجـادتْ بالفِـدَاءْ

يـا شـبابَ النيـلِ هـذَا مَثَلٌ لجـلالِ المـوتِ في ظِـلِّ الإبَـاءْ

مـا يقولُ الشِّـعْرُ في هـذَا ومَا حِيلـةُ الشِّـعرِ؟ وما طَـوْقُ الرثاء؟

موقفٌ جَـلَّ عن الشـعرِ فَهَلْ يُكْمِـلُ التاريخُ بَـدْءَ الشُّـعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْـسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأسـتارُ فيهـا. وقـبرُك كعبـةٌ ومَنَـارُ

في كلِّ مطَّلـعٍ وكلِّ ثنيـةٍ ذكـرى تَزاحَـمُ حولَهـا الأفْكَارُ

باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها مجـدٌ تَقَاصَـرَ دونَـه الأنظـارُ

تتصـرَّمُ[٦] الأيامُ وهـو مُوطَّدٌ يعنُوالخصـومُ لديـه والأنصـارُ

وكأنّـه عَلَم يُنيـفَ على الورَى ترنُـو إليـه وتَخْشَـعُ الأقـدارُ

وتَضاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى في ظلّـه الأقـزامُ والجبـارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَـاه من سـعدٍ؟ وكلُّ عظيمـةٍ تَـذْكَارُ؟

هـل كانَ إلاّ في العظائـم مَوْئلاً في يومِ تَشْـخَصُ عنـدَه الأبصَارُ

تَـدْوِي حَواليه الخطـوبُ وتَنْثَني كأشـمَّ يَعْصِـفُ حَوْلَـه الإعْصَارُ

فإذَا مَضَى الهـولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ غمراتُـه وتَرَاخَـتْ الأخْطَـارُ

أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ راضٍ أشَـمَّ كأنّـه المِقْـدَارُ

رُوحٌ تَجِـلُّ عن الحيـاةِ وأهلِها وصروفِهـا، وتَحُفُّهـا الأسـرارُ

رُوح البطولـةِ والبُطولةُ طَلْسَـمٌ كالسـحرِ تَدْهَـشُ عِنْـدَه وتَحارُ

أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْـدَها لمـا دَعَـا سـعدُ الجموعَ فَثـاروُا

*نشرت عام ١٩٣٢

مـــاذا أبـــركانٌ تَفَجَّـــرَ أم تُرى مـــوجٌ أشـــمُّ أحـــمُّ؟ أمْ تَيـــارُ
سِـــحر البطولةِ أو شُـــواظُ لَهيبها يُذْكِـــي النفُـــوسَ فكلُّهـــا مِغْوارُ
ذكرى تُقدِّسُـــها البـــلادُ كريمةً وتصـــوُن رَوْعـــةَ مَجْدِهـــا وتَغَارُ
هي بعضُ تاريـــخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ تاريـــخَ فـــردٍ يَنْطـــوي ويُثَـــارُ!
ذكرى يَحُفُّ بها الجَلالُ وتَنْزَوِى بإزائهـــا الأحقـــادُ والأوزَارُ
ذكـــرى تُطِـــلُّ كأنَهـــا قُدْســـيّةٌ فالـــكلُّ تَحـــتَ ظلالِهـــا أبَـــرارُ
فلتَعْـــنِ للذكرى الجبـــاهُ وتَنْحَنِ الهامـــاتُ ولتتخَشَّـــعُ الأبصـــارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَـــجِّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ مَصرع النَّسْرين في جوفِ الفَضاءْ[1]
سَـــجِّليه بمـــدادِ الفخـــرِ لا بلْ بفيـــضٍ مـــن دِمَاءِ الشُّـــهداءْ
مَصْـــرعُ الآســـادِ في آجَامِهـــا لا كمـــا تَلْقَـــى مَنَايَاهـــا الظِّبَاءْ!
سَـــجِّليها رَوعـــةً قـــد مُزِجَتْ من أسَـــى الحزنِ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ
وضَحَايـــا المجـــدِ في مَذْبَحِـــه يلتقـــي اليـــأسُ عليهـــا والرَّجاءْ!
وهـــي القُرْبـــانُ يَفْـــدِى أُمـــةً إيـــه مـــا أكرَمـــه هـــذَا الفِـــدَاءْ

* * *

دَوْمـــاً والريـــحُ في مُعْتَـــرَكٍ صَاخِـــبِ الأنواءِ، مشـــؤوم العُواءْ
وظـــلامٌ في ظَـــلامٍ مُبْهَـــمٍ يَخْشَـــعُ الهـــولُ لديـــه والفَنَـــاءْ
طَامِـــسُ الآثـــارِ مجهـــولُ الخُطَا لا دليـــلَ، لا شُـــعَاعَ؛ لا ضِيـــاءْ
وهمـــا في جَوْفِـــه تَحْدُوهُمـــا هِمَّـــةٌ قَعْسَـــاءُ تَأبَـــى الانْـــزِوَاءْ
يَلْطُمـــانِ الريـــحَ إمّـــا لَطَمَتْ ويَروغـــانِ كأطيـــافِ الهَـــواءْ
أُشْـــرِبَتْ نَفْسَـــاهُما حُبَّ العلاُ وأرَادَهـــا حيـــاةً في الســـماءْ
قـــد أرادَا؛ وأرادَ اللهُ مـــا كانَ؛ سُـــبحانَك تُمْضِي ما تَشَـــاءْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.

١ – هذا البيت للمؤلف في قصيدة سابقة، والنَّسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إيــهِ يــا مِصْــرُ عــزاءً إنّمــا أنــتِ أولَــى بالتحيــاتِ الوِضَاءْ
قــد بذلــتِ اليــومَ مــا تَبْذُلُه أمــةٌ شَــاءتْ حيــاةَ النُّبَــلاءْ
أمــةٌ قَــدْ أعلنــتْ قِســمتَها من صميمِ المجــدِ بينَ القُسَــمَاءْ!
ودمٌ يُهــراقُ في تَضحيــةٍ ســوفَ يَسْــرِي نخوةً بــينَ الدِّمَاءْ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدية، وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَــدَتْ في الضُّلــوعِ الحياةُ فمــا يَرْجُــفُ القلــبُ أو يَخفُقُ
وقــد غَــابَ لألاؤهَــا في العيونِ فمــا تَرْمُــقُ الكــونَ أو تَبْــرُقُ
وقــد سَــكَنَتْ نَأمَةٌ في حَشَــاه فمــا عــادَ يَقْفِــزُ أو يَمْــرُقُ
فَيَــا قُرْبَهــا لَحْظــةٌ في الزّمــانِ ويــا بُعــدَ آثارهــا تَنْطــقُ
وتَنْقُــلُ مــن عَــالمٍ صَاخــبٍ إلى عَــالمٍ صمتُــه مُطْبِــقُ

* * *

تُقيــمِ الحيــاةَ هُنــا مَأتَمــاً ومــا إنْ تَنــي جَزَعــاً تَفْــرَقُ[1]
وإنَّ الحيــاةَ لمجنونــةٌ بأبنائهــا الــكلِّ لا تَفْــرُقُ
فجيعتُهــا في صِغــارِ الفــراشِ كمــوتِ الفَــتى حَــادثٌ مُرْهِقُ
هــو المــوتُ في كُنْهِــه واحــدٌ ويُزْهِــقُ مِــنْ بعــدُ مَــنْ يَزْهَقُ
قَــد انْدَخَرَتْ في صِــراعِ الرَّدَى فحــقَّ لَهــا كلُّ مَــا تَحْنَــقُ!

* * *

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٣٨.
١- تني: تضعف.

وتَرْجُـفُ في كلِّ حَـيّ إذَا أصَـابَ سِـواه الـرَّدَى المُزْهِـقُ
أشِـعَّتُها في جميـعِ النفـوسِ يُرقْرِقُهـا مَصْـدرٌ يَألَـقُ
فـإن مَسَّـه مـا يَغُـضُّ الضياءَ تَذَبْـذَبَ لألاؤُهـا المُشْـرِقُ[1]
فيـا دَمْعَـةً رَقْرَقَـتْ في العيون لأنـت الحيـاةُ هَمَـتْ تَدْفُـقُ
يَعِـزُّ على النفـسِ فَقْـدُ الحياة فَتَجْـزَعُ للمـوتِ إذْ يَطْـرُقُ

* * *

الزاد الأخير*

زَوِّديـني مِـنَ الرَّجـاءِ الأصيلِ مُشْـرِقاً فيـكِ في المُحَيَّـا الجميلِ
أَنْـتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْـرِ ودُنْيـا مـن السَّـنَا المَعْسُـولِ
خفَّـةُ الطَّيْرِ وانطـلاقُ الأماني بعـضُ مَا فيكِ وانطلاقُ السُّـيولِ
وَهَـجٌ يُبْهِـرُ النُفُـوسَ ويُزْكي خَفَقَـاتِ القُلـوبِ عِنـدَ المُثُولِ
ذَخَرَتْـكِ الحيـاةُ كَنْـزَ حَيَـاة ورَصيـداً لِمَالِهـا المبْـذُولِ!

* * *

زَوِّديـني لَـكَادَ يَنْفَـدُ زَادي في صِـرَاعٍ مِـنَ الحيـاةِ طَويـلِ
كادَ يَخْبُـو المصبَـاحُ إلاّ بَصيصاً فاسْـكُبي الزيتَ في بَقَايـا الفَتيلِ
كُنْـتِ كالجَـذْوَةِ المُشِـعَّةِ نُوراً وهـي اليـومَ في طَريـقِ الأفُولِ
فيـكِ زَادٌ يَقُوتُنَـا ويَقِينَـا عَثَـرَاتِ الطريـقِ بـينَ التِّلُـولِ
أَنْتِ لا غيرُكِ القَديـرةُ أنْ تُزْكي حَيـاةً بِخَاطِـري ومُيولِـي

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْـرُ نَفْسـي بِرَجَـاءٍ مُشَعْشَـعٍ مَوْصُـولِ
وأرَى عِبْئِـي الثقيـلَ خَفيفـاً وأرى نَاهِضـاً بِعِبْئِـي الثَّقيـلِ
وكَأنّي استَشْـعَرْتُ رُوحَ شَبابي وَرَجَّعْـتُ الزَّمَانَ صَعْـبَ القُفُولِ
فَأعيـدي إلَيَّ مَاضِـيَ عُمْـري واغْمُريـه بالبِشْـرِ والتَأميـلِ
واطْلُعِـي في قِفَارِ نَفْسـي حياةً وإذَا مَا دَجَـى عَالَمي أوَ مِضي لِي

* * *

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

١- الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغْمِضي عينيك قد آنَ الأوانُ ودَعيني نهبةً للشجَنِ
وَأمّني دُنياكِ في آتي الزمانِ ودَعيني لُعْبَةً للزَّمَنِ!

* * *

هذه كَفّي وقد مرّتْ عليكِ في حَنانٍ وارتياعٍ وولُوعِ
لم تَحُسّيها ولم يَنْبُضْ لديكِ قلبيَ النابُضُ من بينِ الضُلوعِ

* * *

هذه الكفُّ التي كَمْ دَلّلَتْكِ وسَّدَتْكِ اليومَ أطباقَ الثَّرى[1]
أيُّ حاليْها تُرى أحنَى عليكِ؟ ليتني أدْري. ومن فينا دَرَى؟

* * *

ذلكِ الصَّوتُ الذي تَرْتَقبينَ قَدْ دَعاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجَابْ
قد دعاكِ. إنّما لا تَسْمَعينَ أُسْدِلَ السِّتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٢.
١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أنَا يا «نُوسةُ» والعهدُ قريبٌ مُوحِشُ النفسِ شَجِيٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ قد خَلا في ذلكَ القلبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه من حَياتي مَوْضِعاً للحَدَبِ
مَا مَضَى من دونِه أو مَا يَليه غربةٌ تَقْسُو على مُغْتَرِبِ

* * *

إنني أبْكيكِ يا ظلَّ الشبابِ إنني أبكيكِ يا طيفَ البنين
رُفْقَةٌ طالتْ على خيرِ اصطحابِ لَكِ عَطْفي ولَي الودُّ المكينْ

* * *

لم يكن ودَّ بُطُونٍ وطعامٍ إنما وُدُّ اصطحابٍ ووَفاءِ
طَالَمَا آثَرْتِ إنْ غِبْتُ الصيامَ أو تَلُوذِينَ بِصَمْتٍ وانْزِوَاءِ

* * *

فإذَا عُدتُ فَوَثْبٌ ومُواءٌ نَاطِقٌ بالشوقِ أو بالفرحِ
وألاعِيبٌ وخَمْشٌ والْتِوَاءٌ وتَنَنٍ نَاطِقٌ بالمَرَحِ

* * *

طَالَما نَادَيْتِني عَذْبَ النِّداءِ في وَدَاعٍ حينَ أمْضي أو لِقَاءْ
في صباحٍ حينَ أصْحو أو مَسَاءٍ بوُثُوقٍ واعتدادٍ وذَكَاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ لا تطيقينَ شَريكاً أو شَبيهاً
طالما وَطّأتِ في حِجْري مَهْدَكِ فَعْلَةُ الطفلةِ في حُضْنِ أبيها

* * *

كنتِ لي كلّكِ في هذي الحياة أينَ مَنْ ألقاه فيها لَي كُلُّهُ؟
كُلُّ مَنْ ألْقَى له فيها هَوَاهُ وله آمَالهُ فيها وشُغْلُهُ!

* * *

قد خَلا حُضْني وكَفّي وذِرَاعي قد خَلا قَلْبي مِنْ هَذا المَتَاعِ
مُنْذُ دَعا الموتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ مَنْ دعَاه لم يُعقِّبْ لِوَدَاعِ

* * *

أنَا يا «نُوسةُ» أمْضي والليالي وخَواءُ الموتِ يَغْشَى عَالَمي
رَسْمُكِ الشّاخِصُ يبدُو كالخيالِ أو كَحُلْمٍ في ضميرِ الحَالِمِ

* * *

وخَيالاتُكِ في كلِّ مَكانٍ شَاخِصَاتٍ تَتَراءى للعِيانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ على خَطْوِ الزمانِ هَاهُنا كنتِ وقَدْ كَانَ وكانْ

* * *

هذه أنْتِ إلى حُضْني أويْتِ هذه أنتِ أمامي قَد رَبَضْتِ
هذه أنتِ على صَدْري وَثبْتِ لهفَ نفسي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟

* * *

ها هُو الصبحُ فأينَ الوَثَبَاتُ هذه كَفّي فأينَ اللّمسَاتْ؟
ها هو الأكلُ فأينَ الهَمْهمَاتُ؟ أينَ أينَ؟ كلُّ ما قَد كَانَ فَاتْ!

* * *

أينَ قِطّاتُكِ في الحِرْزِ الأمينِ مَنْ دَنَا منها عليه تَثِبِينْ
غير أنّي لِيَ وَحْدِي تأمنينَ وإذَا مُسّتْ فَبِي تَسْتَنْجِدين؟

* * *

سَكَتَ الصوتُ وقد كَان غِنَاءً! سَكَتَ الوَثْبُ وقَدْ كَانَ مَضَاءْ
وامتلاءُ البيتِ قد أمْسَى خَواءَ كلُّ مَنْ فيه قد اسْتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

ها هُنا كنتِ؟ أمَا هذا ضَلالٌ؟ وتهاويلُ خَمَّارٍ أو خَبَالْ؟
لم يكنْ شَيءٌ ولم يَطْرَأ زوالٌ كلُّ مَا كَانَ خيالٌ في خيالْ!

* * *

ضَلّةٌ للناسِ في آمالِها والمَنَايا رَابِضَاتٌ بالوَصِيد
زُمَر تَمضي إلى أجَالِها والذي يَحيا يُرَجَّى في الخلودِ!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَـفّ الرّثاءُ بخاطـري المَفْجُوعِ وصَمَـتُّ لا أفضي بغـيرِ دُمُوعي
إني ذُهلـتُ عَنِ المُصـابِ بوقعه حِيناً، ذُهُـولَ الوَاهِـمِ المَخْدُوعِ
فَظَللتُ أنْصتُ للرجـاء، وأتّقي صوتَ اليقـينِ الفَاجعِ المَسْـمُوعِ
أيَمُـوتُ؟ كَلاَّ! لا يمـوتُ وهذه مِصْـرُ تُرجِّـي نَجْمَه لِسـطُوعِ
أيموتُ والأحـداث تَهْتِفُ باسمه أتكـونُ تلـكَ هُتَافَـةَ التوديعِ؟
قُلْ أيُّها النّاعِي سِـواه؟ فما أرى أنّي – وإنْ جَاهَدْتَني – بِسـميعِ!

* * *

وَاويلتَـاه! أإنّهـا الحقيقـةُ جلّتْ عن الإيجـافِ والترويعِ؟[1]
صمَتَ الذي قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجّةً وتَحدَّثَـتْ طعناتُـه بِنَجيـعِ[2]
مُتفَجّـراتٍ بالدّمـاءِ كأنّهـا كلماتُـه في قـوةٍ ونُصـوعِ
كلماتُـه اللائـي نَبَضْـنَ بقَلْبِه ودِمَـاؤه مـن ذلـكَ الينْبُـوعِ

* * *

* نشرت في آذار (مارس)١٩٤٥.

١- الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه،ووجف القلب: خفق،قال تعالى﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢- النجيع: دم الجوفر

يا واهـبَ الوادي مَرِيـعَ حَياته ما بـالُ عُمْـرِكَ لم يكـنْ بمَريعِ؟
يا مانعَ الـوادي العزيزِ بنَفْسِـه ما بـالُ عُمْـرِكَ لم يكـن بمَنيعِ؟
خَطَفَتْكَ عَاديةُ المَنُـونِ وخَلّفَتْ وَطَنـاً يُعَالِـجُ سَـكْرَةَ المَصْرُوعِ
لَخَـلا مَكانُكَ ليـس يَمْلأ رَحْبَه إلا الأسـى وتفجُّـعُ المَفْجُـوعِ
لَخَـلا مَكانُكَ والبـلادُ تَهيّأتْ تَخْطُـو إلى أُفْقٍ رَسَـمْتَ وَسِـيعِ
وتَلَفّتَتْ تُصْغِـي لِصَوْتِكَ هَادِياً في المُدْلَهِـمّ ورأيِـكَ المَسْـمُوعِ
فَصَمَتّ – يا للهولِ – صَمْتَةَ وَاجِمٍ مـاضٍ لغـيرِ تـأوُّبٍ ورُجُـوعِ
وَاهـاً لِمَصْرَ ويا فجيعـةَ أهْلِها في الرائـدِ المتفـرّدِ المَتْبُـوعِ!

* * *

تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقُهُ

ولقد أخَذْتُم بالطريقِ فيَمِّموا

وهو الجهادُ حَمِيّةٌ جَشّامَةٌ

ما إن تخافُ من الردَى أو تَحْجُمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهـدٌ على الأيـام ألا تُهْزَمُوا فالنصرُ يَنْبُتُ حيـثُ يُهراقُ الدّمُ
في حيـثُ تَعتَبِطُ الدِّمَـاء فأيقنُوا أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]
تبغُونَ الاسـتقلالَ؟ تلك طريقُهُ! ولقـد أخَذْتُـم بالطريـقِ فَيمِّمُوا
وهـو الجهـادُ حَميَّةٌ جشّـامة ما إن تخافُ مـن الرَّدى أو تُحْجِمُ
إن الخلـودَ لمـن يَطيقُ مُيَسَّـرٌ فليمضِ طلابُ الخلـود ويُقْدِمُوا
وطـنٌ يُقَسَّـمُ للدخيـلِ هديةً فعـلامَ يَحْجُمُ بعد هـذا مُحْجِمُ؟
الشـرقُ يا لَلشّـرقِ تلك دِمَاؤُه والغربُ يا للغـرب يُضْريه الدَّمُ[2]
الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا حرماته الكُبْرى وكيـفَ تَهجَّمُوا
غرتُهمُو سـنَةُ الكَـرى فتوهَّمُوا يـا للذكاء! فكيفَ قـد غَرَّتْهُمُو؟
سـنَةٌ ومـرت والنيـامُ تيقظُوا فليعلمُوا مَنْ نْحـنُ أو لا يَعْلَمُوا!
اليـومَ فَلْيَلغُوا الدّمـاءَ وفي غد فَليْندَمُـوا عَنهـا ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطـالَ الاسـتقلالِ تلـك تحيةٌ مِنْ مصـرَ يبعثُهـا فـؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنـا في الحـالِ والعُقْبى معاً إخوانُنـا فيمـا يَلَـذُّ ويُؤْلِـمُ
مِصْـر الفتاة ومـا تَـزالُ فَتيةً تَهْفُـو إليكُـم بالقلـوبِ وتَعْظُمُ
في كلِّ مُطّلـعٍ وكُلِّ ثَنيّـة نارٌ من الشـرقِ الفتيِّ سَـتُضْرَمُ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شابا صحيحا.

٢- يضريه: يجعله من الضواري .

٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البداري*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ؟ ويَسيلِ منْ حَنَقٍ حَواليه الدَّمُ؟
ومن الذي سَام النفوسَ مَهانةً يَأبَى ويَأنَفُها الذلُولُ الأعْجَمُ؟[1]
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً ويُهانُ منها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكَرامَةٍ يَشْتطُّ في تحقيرها نَذْلٌ حقيرُ القلبِ لا يَتأثَّمُ
في أيِّما بلدٍ نعيشُ؟ وأيما عهدٍ يَمرُّ على الكَنانةِ مُظْلِمُ؟[2]
عهدٌ نُسَامُ الخَسْفَ فيه ونُبْتَلى نقَماً إذا قُمْنا نَضِجُّ ونَنْقِمُ
وَحْشيَّةٌ كَشَفَ الزَّمَانُ حجابَها لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلَمُ
الوحشُ يَضْلُ جائعاً ويَعِفُّ عن فَتَكاتِه إذ ما يَعِبُّ ويَطْعَمْ

* * *

يا أيُّها الرُّفَقاءُ بالحيوان لا تَنْسَوْا أناسيًّا ثَنَّ وتألَمُ
في مِصَر قد تَلْقَى الكلابُ رِعايةً بينا يُحَقَّرُ شَعْبُها ويُحَطَّمُ!
في مِصَر لا يَلْقَى المسيءُ جَزَاءَه لا بَلْ يُكافأ دونَه ويُكَرَّمُ
في مِصر ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من فُحْشٍ يَعِجُّ بها وفُحْشٍ يُكْتَمُ
في مِصَر! لو في مِصْر بعضُ كرامةٍ غَضِبَتْ وفارَ على جوانبها الدَّمُ!

* * *

ماذَا يَعِزُّ على الهوانِ نَصونُه؟ لم يبقَ من حُرماتنا ما نُكْرِمُ!
الموتُ! يا للموتِ! أشرفُ شِرْعةٍ مما نُسامُ به ومما نُوسَمُ

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- الذلول الأعجم: الحيوان.
٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجَّتْ الدُّنيا فماذَا تَرْتَقِبْ مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ؟
ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذي تركَ الدنيا جميعاً تَضطربْ
فَارَ ماءُ النيلِ أو صَارَ إلى حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ منه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعاني سَكْرةً وإذا تصحُو تولتْ تَنْتَحِبْ؟
مِصر. يا مصرُ. وما يُجْدِي البُكا غضبةٌ يا مصرُ كاللَّيثِ وَثِبْ
غضبةٌ يا مصرُ. أو. لا. فادْرُجِي في قيودِ الذلِّ وارضَىْ بالحَرَبْ

* * *

أفهذي مِصرُ أم ماذا أرى؟ أمةٌ أخرى وشعبٌ مُنْقلبْ
أم تُرى الأيامُ دارتْ دورةً فإذا الأسْدُ شياهٌ تُحْتَلَبْ؟
ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطِي ظَهْرها كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاء رَكِبْ!
المَطَايا حينَ تَخْشَى حَتْفَهَا تُعطبُ السَّائقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصْرُ لَمّا غَضِبَتْ غَضْبَتَها لَمْ يَرُعْها الغربُ لما أنْ غَضِبَ
أرسلَتْها صَيحةً داويةً كهزيمِ الرعدِ جَيَّاشَ اللَّجُبْ[1]

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغربُ لها واستمعتْ أُذُنُ العَالمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ
وأحسَّ الظُّلْمُ منْها رِعْدَةً تتمشى فيه كالرُّعْبِ يَدُبْ
لم تَرُعْنا هَجْمَةٌ منه على رُسُلِ الحقِ غُشُوماً يَحْتَطِبْ
سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَدَبْ
وَوَعاها الدهرُ في آثاره جَذْوةً حمراءَ في رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مِصرُ ذِكْرى فاذكُري ما تولّى وادأبي خيرَ الدَّأبْ
أرجعي الكَرَّةَ لا هَيَّابَةً واغلبي بالعزمِ أشتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَا هُتافٌ ثَمَّ في كلِّ مكانْ ما دُعاءٌ ثَمَّ في كلِّ لسانْ؟
ما نَشيدٌ تسْكُبُ الدنيا به أعذبَ الألحانِ في سَمْعِ الزمانْ؟
ما شعورٌ فَاضَ كالوحْيِ هَفَا فهفَا الشعرُ على كلِّ جنانْ؟
ما ابتهاجٌ وسُرورٌ ورِضَا وانطلاقٌ في التمنِّي والأمانْ؟
مِهْرَجانُ العرشِ والشعبِ مَعاً عاشَ فاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَال لي الدهرُ – وقَدْ راودتُه عَنْ خَفَاياهُ فأفْشَى وأبانْ:
ليس كاليومِ جَمالاً وسَنَىً منذُ ما كان زمانٌ ومكانْ
ليس كاليومِ ابتهاجاً ومُنى منذُ ما كانَ ابتداعٌ وافتنانْ
غيرُ يومين وإنّي حَافِظٌ في سِجلّي كلَّ ما كان وبانْ
يومُ ميلادٍ وفي يومِ ارتقى عرشَه السّامي فأعلاه وزَانْ
ثم هذا اليومُ يومُ المِهْرَجان عاشَ فاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنتَ يا فاروقُ خيرٌ خَالصٌ بيتما الخيرُ مشُوبٌ في الزمانْ
من ضميرِ الشعبِ مِنْ يقظته مِنْ مناهُ مِنْ أغانيه الحِسَانْ
صاغكَ اللهُ سَنَاءً وسَنَى صَانَكَ اللهُ وأعطاكَ الأمانْ!!
صَانَكَ اللهُ. فإنّا أُمَّةٌ تَقْدرُ المُحْسنَ في غير امتنانْ
كلّ يومٍ أنت فيه مِهرجان عاش فاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنـــت في مِصـــر قُـــوىً كامنـــةٌ منذ كانت مصرُ شـــعباً ذا كيانْ
يُســـلِمُ الجيـــلُ إلى تابعـــهِ هـــذه القـــوةَ تَذْكُـــو وتُصـــانْ
والليـــالي مُرهِصَـــاتٌ والدُّنـــا تَرْقُـــبُ الميـــلادَ آنا بعـــدَ آنْ[1]
ثُمَ شَـــبَّ الشَّـــعْبُ في نهضتـــه ناضـــجَ الفِكْرَةِ مشـــبوبَ الجَنَانْ
فـــإذا فـــاروقُ في طَلْعَتـــه تهتفُ البشـــرى على كلِّ لِســـانْ
ثم كان اليـــومُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاش فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنـــت صِنْـــوُ الشـــعبِ في تاريخه كنـــتَ منه في الأمانـــي يومَ كانْ
قـــد تَوَافَى مَولِدُ النهضـــةِ والمَولدُ الضَّاحـــى، فوافت بُشْـــرَيانْ[2]
حِكْمـــةٌ هَـــذا التَّوافـــي عَجَـــبٌ شَـــاءها الله فجـــاءتْ في الأوانْ
ثم وَافي اليـــومُ، يـــومُ المهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يـــا صديقَ الشـــعْب قُـــدْ نهْضتَه في ســـباقِ الكونِ يَظْفَـــرْ بالرهانْ
ولـــه منـــك شـــبابٌ طَامـــحٌ يبعـــثُ الجَـــرأةَ في قَلـــبِ الجَبانْ
كلُّ قلـــبٍ حـــينَ تدعُـــو هاتفٌ: إيـــه لبيـــكَ، إلى شَـــطِّ الأمـــانْ
إيـــه لبيـــكَ، وفيـــه نَشْـــوةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّـــمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.
٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيـــه لبيـــكَ، وقـــد طَهّـــره حُبُّـــك السَّـــامي وروّاه الحَنَـــانْ
كلُّ قلـــبٍ خافـــقٌ بالمهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَـــعْ النَّغْمـــة في قِيثَارتـــي وحيُـــك العَذْبُ فجـــوَّدتُ البيانْ
وجَـــرى الشِّـــعْر وفي نَكْهَتـــهِ من معانيك شـــذَى عَرْفَ الجِنَانْ
فأنـــا الشَّـــادي وفي رُوحي هوىً عَبْقَـــريُّ الوَحي ذَاكِـــي الافتنانْ
وأنـــا الشـــاعرُ آفاقـــي سَـــمَتْ فَسَـــمَا منِّـــى بيـــانٌ ومَعَـــانْ
وأنـــا الغريـــدُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *

أخي إنْ نُمتْ نَلْقَ أحْبَابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفت حَوْلَنا فطوبى

لنا في ديار الخُلودِ

سيد قطب

هبل.. هبل*

هُبَلٌ... هُبَلْ رَمْزُ السَّخافَةِ والدَّجَل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخَنا والارْتِزاق(١)
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجِل

* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخَافَةِ والجَهالةِ والدَّجَل
لا تَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفان... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحترام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل

* * *

---

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)٤/٤١ هُبَل: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والجهالَة والسَّخافَة والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريجِ ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس... عِنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضيّاءِ وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتحٌ... هُوَ عَبْقَرِيٌّ مُلْهَمُ
هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومُعَلِّمُ
ومن الجهالَة ما قَتَلْ
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والعَمالَة والدَّجَل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمان هُمُ القليل
فليَدْخُلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فَلكُلِّ طاغية نهايَةْ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبَلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ
* * *

أخي*

أخي أنتَ حُرٌّ وراء السُّدود أخي أنتَ حُرٌّ بتلكَ القُيودْ
إذا كُنْتَ باللهِ مُستعصِماً فماذا يَضيرُكَ كيدُ العبيد
* * *

أخي سَتبيدُ[٢٦] جُيوشُ الظَّلام وَيُشرِقُ في الكَوْنِ فجرٌ جديد
فَأطلِقْ لِرُوحِكَ إشراقَها تَرى الفَجْرَ يرمُقُنا من بعيد
* * *

أخي قد أصابَكَ سهمٌ دليل وغَدْراً رَماكَ ذِراعٌ كَليل
سَتُبْتَرُ يَوْماً فَصَبْرٌ جميل ولم يَدْمَ بعدُ عرينُ الأسود
* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء أبَتْ أن تُشَلَّ بقَيْدِ الإماء
سَتَرْفَعُ قُربانَها... للسَّماء مُخَضَّبةً بوسامِ الخُلود
* * *

أخي هل تُراكَ سَئِمْتَ الكِفاح وألْقَيْتَ عن كاهِلَيْكَ السَّلاح
فَمَنْ للضّحايا يواسي... الجِراح ويرفعُ رايتها من جديد
* * *

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ١٣٧٦/١٢/٢٨هـ الموافق ١٩٥٧/٧/٢٦

أخـــي هل سمعـــتَ أنـــينَ التُّراب تَـــدُكُّ حَصـــاهُ جيـــوشُ الخَراب
تُمَـــزِّقُ أحشـــاءه بالحِـــرابِ وتَصْفَعُـــهُ وهـــوَ صلـــبٌ عنيد

* * *

أخـــي إنني اليـــومَ صَلـــبُ المِراس أدُكُّ صُخـــورَ الجبـــال الـــرَواس
غَـــداً سأشـــيحُ بفـــأس الخَلاصِ رؤوس الأفاعـــي إلى أنْ تبيـــد

* * *

أخـــي إنْ ذَرَفْـــتَ علـــيَّ الدُّموع وَبَلَّلْـــتَ قَبري بها في خُشـــوع
فَأوْقِـــدْ لَهُمْ من رُفاتِ الشُّـــموع وســـيروا بها نحـــو مَجْـــدٍ تليد

* * *

أخـــي إن نَمُـــتْ نَلْـــقَ أحبابَنـــا فَرَوْضـــاتُ ربيّ أُعِـــدَّت لَنـــا
وأطْيارُهـــا رَفْرَفَـــتْ حَوْلَنـــا فَطـــوبى لنـــا في ديـــارِ الخُلـــود

* * *

أخـــي إنّني مـــا سَـــئِمْتُ الكِفاح ولا أنـــا ألقَيْـــتُ عني السّـــلاح
وإن طَوَّقَتْـــني جُيـــوشُ الظَّـــلام فَإنّـــي علـــى ثِقَـــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنَـــي علـــى ثِقَـــةٍ مِـــنْ طريقي إلى الله رَبِّ السَّـــنا والشـــروق
فـــإنْ عافَـــني السَّـــوْقُ أوْ عَقَّـــني فـــإني أمـــينٌ لعهـــدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ علـــى إثْرِنـــا وَفَـــوْجٌ علـــى إثْرِ فـــوجٍ جَديد
فـــإنْ أنـــا مُـــتُّ فإنّـــي شـــهيد وأنْتَ سَـــتَمْضِي بنصـــرٍ جديد

* * *

قَـــد اختارَنـــا اللهُ في دعوتِـــه وإنّـــا ســـنمضِي علـــى سُـــنَّتِه
فَمِنّـــا الذيـــن قَضَـــوْا نَحْبَهُـــم ومنّـــا الحفيـــظُ علـــى ذِمَّتِـــه

* * *

أخـــي فَامْـــضِ لا تَلْتَفِـــتْ للوراء طريقُـــكَ قـــد خَضبَّتْـــهُ الدِّماء
ولا تَلْتَفِـــتْ هَهنـــا أو هُنـــاك ولا تَتَطَلَّـــعْ لغـــيرِ السَّـــماء

* * *

فلســـنا بطـــيرٍ مَهيـــضِ الجَنَـــاح ولـــن نُســـتَذَكَّ ولن نُســـتَباح
وإنّـــي لأسْـــمَعُ صـــوتَ الدِّماء قَويًّـــا يُنـــادي الكِفَـــاحَ الكِفَاح

* * *

سَـــأثْأرُ لكـــنْ لِـــرَبٍّ ودِيـــن وأمْضـــي علـــى سُـــنَّتي في يَقين
فإمّـــا إلى النَّصـــرِ فَـــوْقَ الأنَـــام وإمَـــا إلى اللهِ في الخالِديـــنْ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه —فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية —مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا —كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء —كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة —وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي — أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بما مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم — في رأيه — ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ١٩٤٨/١١/٣ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب — في قوة التعبير

وحيويته — ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس

مقدمة د. حسن حنفي..... 5
مقدمة المؤلف..... 13
التمرد..... 23
عُزْلَةٌ في ثَوْرَة!!!..... 25
زَفَراتٌ جَامحةٌ مَكْبوحَة..... 31
عَاشقُ المُحَال..... 33
حُلْمٌ قَديم..... 35
بعدَ الأَوان..... 37
الشكوى..... 39
سَعَادَةُ الشُّعَرَاء..... 41
سخريةُ الأَقْدَار..... 44
الصديقُ المَفْقُود!..... 45
خراب!..... 48
خريف الحياة..... 49
النفسُ الضائعة..... 51
الغدُ المجهول..... 53
غريبٌ..!..... 55
مرّ يَوم..... 56
إلى الثلاثين..... 57
خُطا الزَّمن الوَثَّاب..... 59
نهايةُ المَطَاف..... 61
الحنين..... 63
عَهدُ الصّغر..... 65
جولة في أعماق الماضي..... 67
المَاضي..... 70
رِثَاءُ عَهْد..... 72

عَهْدٌ ذَاهب؟! 74
السعادةُ حديثُ الأشْقياء 76
وَحْي الريف 77
ليلات في الريف 79
العودةُ إلى الريف 81
الليلاتُ المَبْعُوثة 83
رَيْحَانَتِي الأولى أو الحِرْمَان 85
عِبَادةٌ جَديدة؟! 87
تسبيح...! 88
في السماء 89
بينَ عَهْدَيْن 90
نِدَاءُ الخَريف 92
هُتافُ رُوح 95
دُعاءُ الغريب 97
ابتسامة 99
التأمل 101
بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوس أو حَياةٌ بعدَ مَوْت* 103
هَدَأتَ يَا قَلْب؟! 105
الدنيا 106
عودة الحياة 106
البعث 108
الشُّعَاعُ الخَابِي 110
في الصحراء 112
بين الظلال 115
الإنْسانُ الأخير 117
إلَى الشاطئ المجهول 120
السر أو الشاعر في وادي الموتى 122

التجارب 127
خبيئة نفسي 130
الخطيئة 132
القطيع 133
على القمة 136
مصرع قصيدة 138
وُجُوهٌ طَرِيفَة 139
إلى الظَّلاَم 140
في مفرق الطريق 143
أقدامٌ فِي الرِّمَال 145
خُدْعَةُ الخُلُود 147
الغزل 149
لَيْلَة؟! 150
نَظْرَةٌ مُوحِشَة 151
طَيْف!! 153
صوت؟! 155
هي أنت 156
أحبك 158
عَيْنَان 161
حَدِّثِيني 162
بيانو وقلب 165
الظَّامئة 166
رَسُولُ الحياة 169
سرُّ انتصار الحياة 170
الَمُعْجزَة أو السَّهمُ الأخير 171
اللحنُ الحزين 173
الغَيْرَة 147

مَصْرَعُ حُبّ! 177
ليلةُ الشَّك 178
اليقين 179
الجنةُ الضَّائعة 180
الحنينُ والدُّمُوع 181
اللّغْز 182
قُبْلَة 183
دَاعِي الحياة 184
تَحيةُ الحياة 185
الخَطَر 186
يَقَظَة 188
رُقْيَةُ الحُبّ 189
الحياةُ الغَالية 191
الكَوْنُ الجديد 192
حُبُّ الشَّكُور 193
الانتظارُ الخالد 195
الحبُّ المَكْرُوه! 196
نَكْسَة! 198
على أطلال الحُب 200
صَدَى قُبْلَة 202
غِنيً ... ؟! 204
وحي جديد 206
أكذوبة أسوان 208
حُلُمُ الحَيَاة 209
الكأسُ المَسْمُومَة 211
وَحْيُ لقَاء 212
حُلْمُ الفَجْرِ 213

انْتَهَيْنَا 214
الوصف 217
وردةٌ ذَابلة 218
العُود 218
بريشة الشعرأو صورة صادقة 220
هَدْأةُ الليل 222
الصُّبْحُ يَتَنَفَّس 224
عبث الجمال 226
يوم خريف 228
الجبار العاجز 230
نَاحتُ الصَّخْرأو«الفاعل» 232
حُلُمُ النَّيل 234
وداع الشاطئ 235
من الفردوس إلى الجحيم 235
الوادي المقدس 236
في ليلةٍ من لَيالي الربيع 241
جَمَالٌ حَزين 242
الرثاء 243
وَحْيُ الخُلُود 244
الذكرى الخالدةُ لسعد العظيم 246
البطل 249
ذكرى سعد 253
طليعة الضحايا 255
موت سوسو 257
الزَّادُ الأخير 259
نُوسَةُ أوشَطْرٌ منَ العُمْر 260
صَدَى الفَاجِعة 264

الوطنيات 267
إلى البلاد الشقيقة 269
مأساة البدَارى 270
صوت الوطنية 271
المِهْرَجَان 273
وختاماً مع الخالدين 277
هُبَلّ.. هُبَلْ 279
أخي 281
ترجمة سيد قطب 285